

الدراسة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشبول
أحمد الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢١
٤٠٥٣٠١

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الاقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في المراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

one

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٩ • القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ - ٢ أبريل سنة ١٩٣٤ • السنة الثانية

المصري الغريب في مصر!

للدكتور طه حسين

هو مختار رحمه الله . فقد كان في حياته مرآة صادقة كل الصدق لنفس مصر الخالدة التي لا تموت ولا تنحصر . كنت تجد في هذه المرأة صورا صادقة لنفس مصر القديمة ، ولنفس مصر الإسلامية ، ولنفس مصر هذه التي يكونها هذا الجيل ، وآمال مصر ومثلها العليا بعد أن يتقدم الزمان ويتقدم ، وترث أجيال أخرى أرض الوطن عن هذه الاجيال التي تضطرب فيها الآن . كان مختار هذه المرأة الصافية المحلوة التي تنعكس فيها حياة مصر على اختلاف ازمتها وبما يحيط بها من الظروف . فكان من هذه الناحية أشد أبناء مصر اتصالا بها . وقربا منها وتميلا لها . ولكنه على ذلك كان غريبا في مصر أثناء هذه الأسابيع التي ختمت مساء الثلاثاء حين ختمت حياة مختار . أقبل من أوروبا فلم تكده الصحف تحدث عن إقباله ، ولم يكده يخف لقائه من أصدقائه الا نفر قليلون . وأقام في مصر مريضا مكثودا يلج عليه الام والسقم فلا يكاد يذكره من المصريين الذين كانوا يعجبون به ويحشدون له ويهتفون باسمه ويعتزون بمجده ويرفعون رؤوسهم بأثاره الا نفر يمحزون ، ولعلك إن أحصيتهم لم تبلغ بهم العشرين ، وأخشى الاتبلغ بهم أقل من هذا العدد اليسير . ثم اشتد عليه المرض والجأ الى المستشفى فلم تكده الصحف تحدث عن ذلك الا حديثا يسيرا جدا . وخف أصدقاء مختار الى المستشفى يسألون عن صديقهم

فهرس العدد

صفحة

٥٤١ المصري الغريب في مصر : للدكتور طه حسين

٥٤٣ كاظم باشا الحسيني : أحمد حسن الزيات

٥٤٤ رسالة الربيع : الأستاذ عبد الحيد للعبادي

١٣١ صفحة من حياة تفتلي : للدكتور محمد عوض محمد

٥٤٨ ازمة الديمقراطية : الأستاذ محمد عبد الله عثمان

٥٣٠ معنى علم : الآله سبير لقلداوي

٥٣١ التطور وروح الدين : الأستاذ محمود النمرقاري

٥٣٢ الاسابلية : محمد قنري لطفي

٥٢٥ تولستوي : شهدي صليبه لانس

٥٣٨ الربيع الباكر (قصيدة) : الأستاذ محمود الحضيف

٥٣٩ آثار اغنية الربيع (قصيدة) : أنور الصغار

٥٤١ آب الربيع : حسين شوقي

٥٤١ بيركورني : الدكتور حسن صادق

٥٤٦ البعثاء : م

٥٤٧ ما جديد : الدكتور احمد زكي

٥٤٩ المنجزة (قصة) : الأستاذ علي الشطاري

٥٥٢ شهر بالفردقة : الأستاذ السرداش محمد

٥٥٤ لثني لثني (كتاب) : الأستاذ أحمد أمين

٥٥٦ شهر زاد (رواية) : عبد الرحمن صادق

٥٥٩ اتحاد المثاليين : ناقد الرسالة لثني

ويريدون لقاء فعال المرضى بينهم وبين اللقاء . وأعلن اليهم ان الحجاب قد اتى بينهم وبين هذا الصديق وان كانت الحياة مازال ترد في جسمه التحيل . ثم أصبح الناس يوم الاربعاء واذا نعى مختار يلاً التاهرة ويقع من نفوس اهلها موقع الألم اللاذع والحزن الممض . ثم أمسى الناس يوم الاربعاء ، واذا جماعة من خاصة المصريين وقليل من الاجانب عند محطة القاهرة يستقبلون جثمان مختار ، ثم يسعون معه الى المسجد . ثم يفرقون ويمضي مختار الى مستقره الاخير ، ومن حوله جماعة قل في احصائهم ما شئت فلن تستطيع أن تبلغ بهم نصف المئة . ثم يصل مختار الى قبره ، ثم يهبط مختار الى هذا القبر ، وهؤلاء الاصدقاء قائمون قد ملكهم وجوم عميق لا يقطعهم الا هذا الصوت الرقيق المزيج ، صوت المساحي والمعاول وهي تسوى القبر عليه ، وتقطع ما بقي بينه وبين الحياة من أسباب ، والا هذا النداء الذي يتردد بين حين وحين عنيقا يتكلف الرفق ، طالبا الماء الذي يحتاج اليه في تسوية هذا القبر ، وإقامة هذا الدين صاحبه وبين الحياة ، والا هذا اللفظ الذي يؤدى الاسماع ، وكان من حق أن يكون موسيقى عذبة رفيقة تأسو القلوب الجريحة وتهدي النفوس النائرة ، وترد الجازعين اليائسين الى ما ينبغي لهم من الاذعان لقضاء الله والرضى بحكم الله . وهو لفظ هؤلاء القراء الذين يلون الستم بالكتاب ، وقد كره الله أن يلوى الناس الستم بالكتاب ، لانه كتاب مبین مستقيم لا عوج فيه ولا التواء . وانما فيه هداية للعقول وشفاء لما في الصدور . ثم ينقطع كل صوت ، ويفترق هؤلاء الاصدقاء يحملون في قلوبهم ما يحملون من حب ورجد ، ومن أسى ولوعة ، يحملون هذا كله لينغمسوا به في هذه الحياة التي تنتظم على خطوات قليلة قصيرة من منقر الموتى .

وكذلك انتهت قصة مختار مع انتهاء النهار يوم الاربعاء ، وكذلك أسدل ستار الموت على حياة مختار في الوقت الذي أسدل فيه ظلام الليل على حياة الاحياء . وما أكثر ما تنتهي قصص الناس في كل يوم ، بل في كل ساعة ، بل في كل لحظة . وما أكثر ما يبدأ ستار الموت حين تشرق الشمس أو حين تغيب ، فلانخص ذلك ولا نلتفت اليه ، لأن الدين تحتلهم المنية أو تحصدهم في جميع الاوقات قوم مجهولون لم تميزهم الظروف أولم تميزهم أنفسهم ، فهم يمضون دون أن يحسبهم أحدا كما يقبلون دون أن يحسبهم أحد . ولكن مختارا كان غريبا حقا في آخر حياته ، وكان غريبا حقا في أول موته ، وأى عجب في هذا ؟ لقد آثر حياة الغربة منذ أعوام ، فكان لا يزور وطنه الا لماما ، ولقد تبود الجفوة

من مواطيه . وأكبر الظن أن ذلك كان يؤذيه ، ولكنه كان أكرم على نفسه من أن يشكو أو يظهر الألم . ولقد سمعنا أنه احتمل المرض شجاعا ، واستقبل الموت شجاعا ، لم يدركه جزع ولا فرق . ولو أنه رأى بعد أن مات كيف ودعه مواطيه لما أثر فيه ذلك أكثر مما أثرت فيه جفوة مواطيه قبل أن يموت . ولعله كان يألم لذلك في قرارة قلبه الممتاز ، ثم لا يظهر من ألمه شيئا كما كان يفعل أثناء الحياة ، انما نحن الذين ينبغي لهم أن يألموا أشد الألم ، وأن يحزنوا أشد الحزن ، وأن يستشعروا شيئا غير قليل من اللوعة والحسرة وخيبة الأمل حين نرى هذا العقوق ، وحين نقدر أن نرد في نفس صديقنا الراحل العزيز . فقد كنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا هو الذي رد إلى مصر بعض حظها من المجد الفنى ، وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا قد تمكن مصر من أن تعرب عن نفسها و عما نجد من الألم والأمل بلسان جديد لم تكن تستطيع أن تصطنعه من قبل ، وهو لسان الفن . وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا قد أنطق مصر بهذه اللغة التي يفهمها الناس جميعا وهي لغة الجمال ، لغة الفن ، بعد أن كانت لا تنطق الا بهذه اللغة التي لا يفهمها الا جيل آيئة من الناس ، وهي لغة الكلام . وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا قد جدد في مصر سنة كانت قد درست ومضت عليها قرون وقرون . وهي سنة الفن ، وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا قد لفت الاوروبيين الى مصر ، وأقام لهم الدليل على أن مطالبها بالاستقلال لم تكن عبثا ولا لغوا ، وانما كانت نتيجة حياة جديدة ، ونشاط جديد ، وقد لفت مختار الاوروبيين الى ذلك في أشد الاوقات بلاهة ، في وقت الثورة السياسية . وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا على حداثة عهده بالفن كان أسبق المصريين الى إعجاب أوروبا ، ألم يعرض آثاره في باريس ؟ ألم نتحدث صحف الفن عن مختار قبل أن نتحدث صحف الادب عن كتابنا وشعرنا ؟ ألم تستقر أثمار مختار في متاحف باريس قبل أن تستقر آثار كتابنا وشعرنا في مكانها ؟ كنا نتحدث بهذا كله ، وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختارا قد رد الى المصريين شيئا غير قليل من الثقة بأنفسهم ، والأمل في مستقبلهم ، والاطمئنان الى قدرتهم على الحياة الممتازة الراقية . كنا ومازلنا نتحدث بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك فقد قضى مختار آخر حياته شريدا أو كالشريد . وقد قضى مختار آخر أيامه في مصر منسيا أو كالنسي ، وقد عبرت جنازة مختار مدينة القاهرة يظيف بها جماعة من الخاصة ليس غير الا نستغفر الله بل مرت جنازة مختار أمام التمثال الذي صنعه يديه كما برأ أمام أى شيء لم يظهر بلى ، التمثال ، ما يدل على الحزن

كاظم باشا الحسيني

بقلم احمد حسن الزيات

حنانك يا رب ١١ أفي الساعة التي يضطرب فيها البحر
ويحار المركب ويبعد المرفأ، يموت الربان ويختفي القطب ١٢
وفي الساعة التي يستحضر فيه النضال بين حق العرب وباطل اليهود،
وبين ايمان فلسطين وطنيان الانجليز، يسقط القائد ويهبط
العلم ١٣ وفي كل يوم تتجاوب أصداء الاثني في أقطار العروبة
على بطولة تودي، أو زعامة تخلو، أو نبوغ ينطق، أو ألفة
تفترق، أو وحدة تكتسب ١٤

لابأس بالالم يجمع شتى القلوب على الاحساس المتحد،
وبالخطب يروض رخر المغاير على المقاومة الشديدة، وبالموت
يمتضارع النفوس الى الحياة العزيرة، أما المدامع التي تتجنب
المشاعر، والشدائد التي توهن العزائم، والمنايا التي تقبر
الاماني، فأرزاء من الشر المحض والعذاب الخالص كابدتها
الامة العربية واأسفاه في مصارع سعد وفيصل وكاظم ١٥

روح العرب في عيد التضحية والتالية مصاب فلسطين في حياة
نهضتها سر وحبها وروح نورتها المغفور له موسى كاظم باشا
الحسيني، فضجت المآذن بالنبي، وفاضت الصحف بالثناء،
واضطربت الألسن بالأسف، ونال الناس من الجزع الطبيعي
ما ينالهم حين يرون الركن يميل، أو النظام (١) ينقطع،
أو الدليل يغيب، وتساءلوا عن مصير فلسطين المعذبة بعد
شيخها الذي أخلصت جوهره السنون، وأحكمت رأيه السن،
وشيعت قلبه العقيدة، وأعلت صوته النزاهة، وقدست شمس
التضحية، فجعل الحزبية، وأنكر الطائفية، وسل أحقاد الصدور،
وأذهب تنافس الأسر، وعبأ الامة المغزوة في دار أمنها، ثم
قادها زهاء خمسة عشر عاماً في المفاوضات بلندن، وفي المظاهرات
والمؤتمرات بفلسطين، لا يقطعه يأس، ولا يردعه وعيد،

نظام هو المحيط الذي يجمع حبات العقد

أوما يدل على الاكتئاب، أو ما يدل على الشكر وعرفان الجليل.
وعبرت جنازة مختار مدينة القاهرة تجلبها الحكومة المصرية أو
تكاد تجلبها، لم يمش في جنازة مختار ولم يقيم على قبر مختار وزير
العلوم والفنون. ولم يلق أحد على قبر مختار كلة الوداع، وإنما
كان الصمت يشيعه، وكان الصمت يواريه التراب، وكان الصمت
يردعه حينما تفرق من حوله الأصدقاء. ولو قد مات مختار
في بلد غير مصر لكان لموته شأن آخر. ولو قد كان مختار فرنسياً
أو انجليزياً أو ايطالياً وأدى لبلده مثل ما أدى لمصر لقامت الدولة
له بشئ آخر غير الالهال والاعراض. إذن لكانت جنازته
رسمية تنفق عليها الدولة، ويمشي فيها رجال الدولة، ويخطب فيها
كبار الدولة، ولكن مختاراً نشأ في مصر، وعمل لمصر، ومات في
مصر فحسبه ما أتبعه يوم الاربعاء من توديع الذين كانوا من
اصدقائه وأجائه ليس غير

ولأنفس أن رئيس الوزراء قد تفضل فندب من مثله في جنازة
مختار. وهذا، وبالسخرية الاقدار، كثير جداً ينبغي أن يشكر لرئيس
الوزراء. فقد ينبغي ألا تنسى أن مختاراً لم يكن من انصار السياسة
الرسمية، ولا من الذين يستمتعون بعطفها ورحبها ورضاهها، فكثير
أن يتفضل رئيس الوزراء فيندب من يمثله في جنازة هذا المعارض
وان كان صاحب فن، وان كان قد انفق حياته كلها لمصر لا للحزب
من الاحزاب ولا لجماعة من الجماعات. لا أكذب المصريين أن
لنا في مثل هذه الاحداث والخطوب مواقف لا تشرقنا ولا تلامم
ما نحب لانفسنا من الكرامة، ولا تشجع العاملين على أن يعملوا.
ومن الذي نسي موت الشاعرين العظيمين حافظ وشوقي وموقف
السياسة منهما. ذهب المعارضون يحافظ، واستأثر المؤيدون بشوقي،
ثم ذهب للمعارضون بمختار منذ أيام، وضحى بالادب والفن في سيل
الادواء والشبهات، وظهر المصريون في مظهر العقوق الذي لا يليق
بالشعب الكريم. لا أكذب المصريين إنهم في حاجة الى أن يرفعوا
انفسهم امام انفسهم وامام غيرهم عن هذه المنزلة الميئة، انهم في حاجة
الى أن يرفعوا الادب والعلم والفن عن اعراض الحياة، واعراض
الخصومة السياسية، لان في الحياة أشياء ارقى واطهر واكرم من
السياسة وخصوماتها، والادب والعلم والفن أول هذه الأشياء.

(البقية على صفحة ٥٥٨)

رسالة الربيع

للاستاذ عبد الحميد العبادي

أخبر عن الجليل الجليل . أنهم يوشدون أن يميت قلوبهم ويقول
نفوسهم الصغرى بالأسواق

رحم الله سلافة الأندلس وآباء الأولين . لقد كانوا أقرب منا
الى الطبيعة ، وأبر هذا الربيع وأحد استقباله . فالمصريون
القدماء على شدة تفكيرهم فى الحياة الآخرة ، لم يهتموا إلا أخذ
بأسباب التمتع بهذه الحياة الدنيا . كانوا كلفين بالطبيعة ، وحياة
الطبيعة . وهل شئ أبهج للناس وأسر للقلب من الطبيعة وحياة
الطبيعة ؟ لقد فتوا بهم المتدفق الورد وفقد سوره وعبدته ، وكلفوا
بالزهر حتى لقد اتخذوا منه رمزا وشعارا للملكم السياسى ، فكانت
الزينة رمز ملكتهم الجنوبية ، وزهرة النيلوفر رمز ملكتهم
الشمالية . وصاغوا تيجان الاعمدة التى تنهض بمنازم على مثال
برعمة التدو ، والنيلوفر ، وورؤوس النخيل . وكانوا يحتفلون
لمقدم الربيع احتفالا بقيت لنا منه أنارة تلحظها فى عيدنا الطيبى
الوحيد المعروف « بشم النسيم » .

وكان الفرس القدماء من أشد خلق الله حبا للزهر والماء والجو
الطلق ، لذلك جعلوا « التبروز » الذى هو أول الربيع أعظم أعيادهم ،
وأسفوا عليه حالة من التقدير والاحترام ، فرغموا أن الله فرغ فيه
من خلق الخلائق ، وأنه يقسم فيه السعادة لأهل الأرض ، ولذلك سموه
« يوم الرجاء » ، ولفرط شغفهم بالربيع كانوا إذا همج الشتاء وألح
على بلادهم المطر والبرد والتج اعتاضوا عن مناظر الربيع الطبيعية
بصور لها قد وشيت بها بسطهم وسجادهم الشهيرة بحيث إذا جلسوا
عليها للطرب والشراب خيل اليهم أنهم فى روضة معطر من رياض
الربيع . وإن من بطالع الأدب الفرسى جملة يحده عقبا بعير
الورد والزنبق والبنفسج والياسمين وغيرها من فنون الرياحين
أما العرب فربيع بلادهم هو حياتهم على الحقيقة دون المجاز ،
فاذا أقبل عرفوه بتألق البرق وجلجلة الرعد ، بالغيث المأملة
والأودية السائلة ، فاذا كان ذلك اخضرت المراعى واعشوشبت الوهاد
والنجد ، ونعم بآثار ذلك كله الانسان والحيوان . وكان ملوك بني
أمية جريا على مقتضى غريزتهم البدوية إذا أقبل الربيع برزوا الى
بادية الشام فقصوا شهوره فى قصور نخودها لذلك خاصة . ولاتزال
آثار تلك القصور ماثلة الى اليوم . فلما اختلط العرب بالفرس
أخذوا عنهم عادة الاحتفال بالتبروز الفارسى . فكان عمال بني أمية

لو تمثل هذا الربيع لكان إنسانا ، وليكان شابا رائع الشباب ،
مشرق الطلعة ، حلو السمائل ، معطاء بكلمة الدين ، يملأ العيون
والقلوب مهابة وجمالا . أفلا يرى القارى صدق هذا التصور فيما
يأخذ الحس والشمور من الطبيعة فى أيامنا هذه : من اعتدال الجو
وانبعاث شمس ، وإبراق شجر ، وتفتح زهر ، وترنم طير ، وتناغم
خير ؟ أفلا يرى أن كل مظاهر الطبيعة قد غدت ولسان حالها
يصيح بمن يمر : ألا ترانى ففهم حكمة الخلق العجيب ؟
ولكن وارجحتاه للناس أنهم عن هذه الدعوة الكريمة فى
شغل شاغل ، « وكأى من آية فى السموات والأرض يبرون عليها
وهم عنها معرضون » لقد شغلوا بالعرض عن الجوهر ، وبالسفاف

ولا يخله طمع ، ولا يقد به عبء السنين التسعين عن قيادة
التياب الى صراع حار دام بين حق أعزل وباطل مسلح 11
لو كانت قضية فلسطين قضية رئاسة وسيادة وغلب لكان
فى كل مكان سبيل الى الخلاف ودليل الى الفرقة ، ولكنها
قضية الحياة والموت ؛ وللحياة طريق تهدى اليها الفطرة ،
وقافلة تدل عليها الطبيعة ؛ فالأمر من هذه الناحية مختلف بين
فلسطين وبين العراق ومصر

ولا ريب أن المستقبل الذى يمثل لتياب فلسطين فى
أشبع صورته سيدلهم عن نعمة العصيدة ، ويلهمهم عن شهرة
الخصومة ، فلا يرون إلا عدوا واحدا هو الواغل المتفحم ،
ولا يستمعون إلا قولا واحدا هو قول زعيمهم الخالد وهو
يجود بنفسه :

« ... قضية العرب فى فلسطين أمانة فى ذمتكم فجاهدوا
فى سبيلها ، فإن فعلتم أرحموني فى قبري »

عزى الله الامة العربية أجمل العزاء عن فقيدها العالى ،
وأحيا فى خواطر أبنائها النبلاء مثله العالى ، وجعل رضوانه
عليه ثواب ما بذل فى سبيلها من ماله وجهده ونفسه ؟

الرجوع إلى الباطل

خير من التماهى فى الحق ... !

صفحة من حياة تشلىنى

للدكتور محمد عوض محمد

« بنفيتو تشلىنى Benvenuto Cellini من كبار رجال الفن الايطالى فى عهد النهضة ، ولد فى مدينة فلورنسا عام ١٥٠٠ وتوفى بها عام ١٥٧١ . وقد نبغ أولا فى صياغة الذهب والفضة صورا وتماثيل غاية فى الدقة والجمال . وبصد ذلك استطاع للترويج فى صناعة التماثيل من الحجر والبرنز ، وقد عاش فى روما وباريس حيث دناه فرانسوا الاول ليعمل عنده ، وقضى فاشط الاخير من حياته فى وطنه فلورنسا ، وله مؤلفات فى الفنون التى مارسها ، وله كتاب ضمن مذكرات عن حياته الحافلة بالحوادث وعلى احدي هذه الحوادث قد بنيت القصة التالية »

الرجوع الى الباطل ، خير من التماهى فى الحق ...

ذلك هو الدرس القاسى الذى ألقاه القضاء الساهر والقدر الجائر على فنان فلورنسا العظيم بنفيتو تشلىنى ، فى يوم بدأ صاحبا وانتهى عابسا متجهما ...

ذهب الفنان الى الحجرات الخاصة فى قصر دوق فلورنسا ، ليشرف على الاعمال الفنية التى كلف القيام بها : من تزويق وتتميق فى الجدران والاثاث ، وتحنلة بالذهب والفضة ، ومن نقوش بديعة وتماثيل بارزة ... ولم يكن فى فلورنسا كلها فكر أبرع ، ولا يد أندر من فكر بنفيتو تشلىنى ويده ، ذلك الرجل الذى لم يكفه أن نبغ فى صياغة الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، فأقى فى هذا الضرب من الفنون بالرائع الساحر ، بل أراد أن يناقش المثاليين والنحاتين فى صناعة التماثيل الضخام ، ينحتها من الصخر أو يصباها من البرنز . فكان له ما أراد ، وبات نايقة زمانه فى الصناعتين الدقيقة والجليلة .

وكان يحلو لدوق فلورنسا أن يمر به وهو يشتغل وعمله فى الجناح الخاص بقصر الأمير ، فيتحدث اليه عن الفن وعن رجاله وأنصاره . ويناقشه فى رأى ارتآه الفنان أو خطة أراد رسمها .

وكان بنفيتو حلو النادرة ، سريع البادرة ، فى شئ من غرور التواضع ، وغطرسة الواثق بنفسه .

وفى اليوم الذى نحن فى صدده ، جاء الدوق فتحدث اليه قليلا ، ثم عاد لينظر فى بعض أمور الدولة ... وسألت الدوقة عن تشلىنى ، فقيل لها إنه جالس وحده يشرف على الاعمال التى يقوم بها فى جناح الأمير الخاص ، فلم تمض لحظات حتى كانت الدوقة جالسة تتحدث الى تشلىنى وتطرى ما قام به من اعمال الزينة فى قصر الأمير ، ثم أرته عقدا من اللؤلؤ يشتمل على ثمانين لؤلؤة وقالت : أيعجبك هذا العقد ؟ قال : إنه لعقد جميل يا مولاتى ! قالت فأتى أريد أن يشتريه الدوق لى . فلا بد لك أن تقول له ماشئت فى مدحه والاشادة بذكرك ، وأن تبالغ فى اطرائه ما استطعت الى ذلك سبيلا . كان تشلىنى يظن أن الدوقة قد اشترت العقد وقضى الأمر . ولهذا بادى الى مدحه واطرائه ، أما الآن - واللاآتى - لم تُشترَ بعد - فقد رأى واجبا عليه أن يطلعها على ما يراه فيها من عيوب ، ولم يكن فى فلورنسا كلها أقدر منه على نقد الجواهر واللاآتى ، ولا أبصر بمواضع العيوب منها .

فقال مولاتى ! حسب العقد ملكا لك فبادرت الى مدحه . فأما وأنت تهمين بشرائه ، فأتى أرى لوأما على أن أطلعك على ما به من عيوب بينة تحط من قدر هذه اللاآتى . ومن أجلها لا أستطيع أن أنصحك بأسرا .

قالت : لقد رضى التاجر صاحب هذه البضاعة أن يبيعنا اياها بستة آلاف دينار . ولو لم تكن بها تلك العيوب الطفيفة التى تذكرها لما رضى بأقل من اثني عشر ألفا .

لجعل تشلىنى يبذل النصيح الثمين . ويقول للسيدة الكريمة إن هذه اللاآتى لو كانت خالية من كل عيب ، وبالعلة أقصى غاية الكمال ، لما جاز لأحد أن يدفع فيها أكثر من خمسة آلاف . فاما وقد اشتمكت على كل هذه النقائص فانها لن تسارى نصف هذه القيمة . وفوق هذا كله ، فإن اللاآتى ليست كالأحجار الكريمة نفاسة وقيمة . إنما القيم النفيس هو الماس ، والياقوت ، والزرجد ، والعقيق ، وانفيرج ، هذه هى الاحجار الكريمة التى تزداد على مدى السنين روتقا وبهاء . أما اللاآتى . فليست سوى قطع من حجار البحر ، وعظام السمك ، لاتبث أن تفقد بهجتها وروعتها بعد سنين قلائل !

لكن الأميرة كانت صلبة كصلابة الماس ، وقد وطنت النفس على حيازة هذا العقد . وفي رأسها عينا امرأة قد بهرهما لمعان اللؤلؤ . فأوحى إلى قلب المرأة الذي بين جوانحها ، فإذا القلب قد اشتبه ذلك العقد ، واتخذ لحيازته إرادة لا تتنى ، ورغبة لا تقبل الجدل ، ورأى تشليني أنه غدا بين نارين ، فاما أن يفضب الأميرة او يخذع الدوق ...

فقال له : هون عليك الأمر ، فانا الضمينة بأن الدوق لن يمسك بسوء ، بل وستال أجرك متى يوم تغدو هذه اللآلى . ولقد وطنت النفس على احرازها . فاذهب بها الآن إلى الدوق . وأطلب في مدحها ما استطعت .

كان من أكبر ما يفخر به تشليني الصراحة والأمانة . ولقد طالما جنت عليه الأولى ، وأقعدته الثانية شيئا كثيرا من المكسب والمغتم ؛ ومن قبل ماجنت عليه صراحته يوم كان في بلاط فرنسا الأول ملك فرنسا . فرأى نفسه فجأة وقد غضبت عليه مادام « ديتامب » معشوقة الملك ، وأصبحت له عدوا عيدا ، لا تجدى مع عداوتها صداقة أحد ، حتى ولا صداقة الملك نفسه . فلم يلبث ان اضطر إلى مغادرة أكبر ملوك العالم وأغنام وأسخام . والآن أينضب الدوقة العظيمة ، دوقة فلورنسا ! من أجل كلمة تريد أن يقولها ، فيرتكب في فلورنسا - وطنه العزيز - ما ارتكبه في فرنسا من قبل ؟ ويفقد ما ناله في قصر الدوق من حظوة ومن مقام رفيع ؟

تتاول العقد ، ومشي به إلى الدوق - وقد عزم على ان يقول كلمات قلائل يمدح بها العقد ، ولعل الدوق ان يغفر له هذه الخطيئة من أجل الأميرة . فلما رآه الدوق قال - ما الذي جاء بك يا بنفيتو ؟ قال - عقد جميل من اللؤلؤ أردت ان أنصح مولاي بشرائه فاني ما رأيت غمري ثمانين لؤلؤة كريمة قد نظمت في عقد بمثل هذا الحسن الباهر ، وهذا التفتيح البديع

قال الدوق - ما أنا بالذي يشتري لآلى مثل هذه ، فلقد رأيتها من قبل ، فلم يرقى منظرها ولا حسنها . وما هي بالنادرة كما تزعم ولا النفيسة !

قال - عفوا مولاي ! انها وإيم الحق درر غوال ، ولا أعرف أن عينا رأيت عقدا منظوما كهذا العقد ، سوى دورا كهذه الدرر ! قال الدوق - والله يا بنفيتو ! لو أن هذه الدرر من النفاسة بحيث

تذكر لما ترددت في شرائها ؛ فاني في حاجة أبدا لاحراز هذه الجواهر الثمينة ، جاني إحرازها ، وارضاء لأميرة زوجي ، ولكي تكون هذه الكنوز ذخرا لابنائنا وبناتنا ، وأنا أعلم أنك أبصر الناس بهذه الامور ، وأن عينك لن تخطئ . في نقدها وتقديرها . كذلك أعلم أنك رزيت الصراحة في القول ، والامانة في النصح ، فأصدقني الخبر ، ولا تخش بأسا اهل تنصح لي حقا بشرائها ؟

أصغى تشليني إلى كلمات مولاه ، فكأنما سقط عن كاهله عبء ثقيل . لقد كان يمدح تلك اللآلى بلسانه ويلبثها بقلبه . وكان يعلم وهو يطريها أن هذا المدح يذرى به كفتان له رأيته السيد في تقدير الجواهر ، ويذرى به كرجل اتخذ الامانة والصدق شعارا . لهذا انكشفت عنه الغمة حين سمع الدوق يناشده الصدق والصراحة ، وقال : إني لأخشى يا مولاي - إن أنا صدقتك الخبر عن هذه اللآلى - أن يشتد على غضب مولاي الدوقة ، وتصبح لي عين ألد الخصوم ، فأضطر إلى مغادرة فلورنسا - وطني المحبوب - مرة أخرى . واليوم وقد تقدمت في السن فان مغادرة الوطن على شيء عسير . فأستحلف مولاي ان يحميني بخطها : اذ الم يضمّن لي رضاها ! ولقد وعدتني ماتني دينار إن أنا استطعت إقناع مولاي بشرائها تلك اللآلى . وقد كان خوفي من غضبها أكبر من طمعي في جائزتها . أما الآن وقد ناشدني مولاي الصدق ، فاني لا يسعني إلا أن أخلص في النصح : إن شراء هذه اللآلى - بذلك الثمن صفقة خاسرة . فانها لا تساوي أكثر من أثنى دينار ؛ فإذا كان لابد من شرائها فلا يدفع الأمير فوق هذا القدر درهما واحدا .

قال الدوق - كن مطمئنا ! إن الدوقة لن تعلم شيئا مما قلته لي الآن ، ولن يمسك منها أذى . وسأذكر لك أبدا هذا الاخلاص في النصيحة !

عند ذلك دخلت الأميرة ؛ وقد ظنت أن قد مضى من الزمن ما يمكن لاقتناع زوجها بشرائها العقد . وان قد آن لها ان تضم صوتها إلى صوت الفنان فقالت :

— عسى أن يكون مولاي الدوق قد راقه هذا العقد النفيس فانه قلبا وقعت عين على عقد يضاهيه حسنا وروقا ، وما أشد رغبتي في اقتنائه وادخاره !

— لست أرغب في شرائه .

— لماذا يرضى على أميرى الكريم هذا العقد الثمين ؟

على مغادرتها . ومن قبل كان الدوق يأمر حجابيه بأن يفتحوا له أبواب القصر في أى وقت شاء ، وألا يحولوا بينه وبين الأمير . أما اليوم فإن الدوقة قد أمرت بعكس هذا . وأمرها الناد . . .

وزار تشلينى أحد الأصدقاء ، فأبناه بأن الدوق قد اشترى ذلك العقد ! أجل ، ولقد دفع فيه ستة آلاف من الدنانير الذهبية راضياً طائعاً . . . ذلك أنت الدوقة حين أعيتهما الحيل . أمسكت العقد يسدها ، وجئت بين يدي زوجها ، وتأثرت من جفونها درر غوال كانت أكثر بها ، وأشد وقعاً في نفس الأمير من درر ذلك العقد ! وقالت له وهى تتحب ، إنها إذا حرمت ذلك العقد فقد حرمت كل سعادة ، وقد كتب عليها الشقاء . والذل يمدى الحياة . وسيعلم الناس جميعاً أن الأمير زوجها العزيز ، وسيد أمراء إيطاليا ، الذى تفتديه بروحها ، قد نجح عليها بعقد من اللؤلؤ . وإنها لن تطيق الحياة متى علم الناس بما هى فيه من هوان وبلاء . . . عند ذلك أمر الدوق - لساعته - بشراء تلك اللآلى . . . ولم يكذب يفعل حتى رقاً مع الأميرة وأبرقت أساورها ، وابتسمت عن لؤلؤ آخر ، كان فيه للبلك خير عوض عن اللؤلؤ الذى اشتراه .

ومضى تشلينى الى القصر ، وهو لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه . قرأه الدوق مقبلاً ، فأمر بأن يؤتى به الى حجرته . فلما مثل بين يديه ، قال له من غير تلطّف ولا بحاملة :
ويحك يا بنفيتو أيها الشقي ! كيف بلغت بك الجرأة أن تعقب الدوقة مولاتك ، التى طالما أبدتك ونصرتك : فجعلتى أعرض عن شراء تلك اللآلى النفيسة ! يالك من شقي لا يعرف معنى اللوفاء والاخلاص ! إذ ما أبها التمس الآن الى حجرة الأميرة ، واجت على قدميك بين يديها . واسألها الصفح والمغفرة عن جريرتك . وارجع الى الحق أيها الجاهل . فان الرجوع الى الحق فضيلة . . . وعساها تصفح عنك وتغفر عن خطيئتك !

رفتح تشلينى عينين ملوَّهما الدهشة والحيرة

- مولاي أؤحق . . . !

- لا تنبس أيها الشقي بكلمة . واذهب الساعة فافعل ما أمرتك به .

ومضى تشلينى مطرقاً برأسه يمشى في بطن شديد ليلتمس من

مولاته الصفح . لان الرجوع الى الحق فضيلة . . . !

- لأنى لا أريد أن تذهب أموالى هباء .

- أيقظ مولاي أن أمواله تذهب هباء ، حين يفتنى بهادرراً غالية كهذه الدرر التى قل أن يكون لها في العالم نظير ؟ كيف وإن بنفيتو نفسه - الذى يضع فيه مولاي بحق كل ثقته - قد رآها فبهرتة وسحرته ، وقال ان الأمير لو دفع في هذه اللآلى ستة آلاف دينار لكانت صفقة رابحة .

قال الدوق : إن بنفيتو لم يقل شيئاً من هذا . بل لقد ذكر لي الساعة انها لآلى خسيصة ؟ وأن شراؤها مضیعة للمال . أنظري أنت إليها ! انها ليست مستديرة ، وليست متساوية في أحجامها . وكثير منها قديم فقد الروتق والحسن . تأمل في هذه . . . وهذه . . . كلا . . . إنى لن أرمى بأموالى من أجل هذه السقاف .

دهش تشلينى حين سمع الدوق يخاطب زوجه بهذه الصراحة ويفشى لها سره ، ولم تمض لحظات على اتیانه عليه .

ونظرت اليه الدوقة نظرات تلهب فيها نار الغيظ . ثم خرجت من الحجرة وهى تهز رأسها هزة التائر المتوعد . فاسترلى الرعب على الفنان وجعلت الحجرة تدور أمام عينه . وكاد أن يفتنى عليه . وعاد في ذلك المساء الى داره مهموماً منكس الرأس . . . وقدم أن يعد العدة لمغادرة فلورنسا ليلتمس الرزق في غيرها من المدائن . . . ولكنه رأى أعماله التى أخذ ينشئها ، وعز عليه أن يتركها لتهمل وتنسى . أوليتناولها أعداؤه بالمسخ والتشويه . وعز عليه خاصة ذلك التشال الضخم الذى أوشك أن يتمه ، والذى يمثل فرساوس قابضا على رأس الميدوزا - وهو يعد اليوم من أبدع مخلفات عهد النهضة - أجل ، عز عليه أن يترك أعماله هذه التى يرشك أن يتمها . ويوشك أن يزداد بها صرح الفن علواً وشموخاً .

لو أن هذا الحادث جرى له في شبابه لبادر الى مغادرة المدينة في ساعته تلك ، أما اليوم وقد نيف على الحسین فقد رأى أن يترتب قليلاً ، لعل الدوق أن يستأيع حمايته ونصره ، وأن يصلح ما بينه وبين الأميرة .

في اليوم التالى غدا تشلينى الى قصر الدوق لعل أن يلقاه كسابق عاده . ولكنه لم يكذب يبلغ القصر ، حتى لقيه أعوان الدوقة ، واضطروه لأن يعود أدراجه بعد أن ناله منهم شيء كثير من الاهانة والعت . واضطر الفنان أن يلزم دائرة أبياما لا يكاد يخرج

أزمة الديمقراطية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

هل أن الشمس الديمقراطية أن تترب؟ هذا سؤال يطرح منذ أعوام في معرض البحث والجدل، ولكنه يغدو اليوم أشد خطورة، ويشغل جميع الأذهان والضماير الحرة: فالنظم الديمقراطية تتحطم تباعاً في أمم كانت بالأمس أشد الأمم تعلقاً بالنظم والمثل الديمقراطية، والحكومات الدستورية تتخفى. تباعاً من الميدان لتقوم مكانها حكومات طغيان شامل، والحريات السياسية والاجتماعية القديمة تتحقق وتختفي لتستأثر بها وتتصرف فيها أحزاب وجماعات. سياسة جديدة تقوم مبادئها ودعوتها على القوة القاهرة، والديمقراطية تهتز اليوم حينما استطاعت أن تبقى وتتسرب إليها عوامل الوهن والفساد: فهل يكون ذلك إيذاناً بان صرح الديمقراطية غداً على وشك الانهيار، وأن الديمقراطية تسير إلى مصرعها النهائي في المستقبل القريب؟ هذا ما يتنبأ به أصحاب النظريات والمثل الجديدة القائمة على الطغيان الشامل، والقومية المتطرفة، وإنكار النظم البرلمانية، وخضوع الفرد المطلق، والايمان بالقوة المادية؛ أو بعبارة أخرى هذا ما يقوله دعاة الفاشية والوطنية الاشتراكية الألمانية والحقيقة أن الديمقراطية تجوز أخطر أزمة عرفت في تاريخها.

ويجب قبل كل شيء أن نعرف الديمقراطية بإيجاز. فهي في الأصل كلمة يونانية معناها قوة الشعب، وهي مبدأ سياسي اجتماعي يقوم على المساواة التامة بين الأفراد في الحقوق والواجبات، وغايتها الجوهرية أن يشترك الشعب كله في إدارة الدولة أو بعبارة أخرى أن يحكم نفسه بنفسه: والنظم البرلمانية أظهر وسائلها لتحقيق هذه الغاية. والديمقراطية الأوروبية الحديثة ترجع إلى الثورة الفرنسية. ولكنها لم تستطع ثباتاً في البداية، واستمرت نحو نصف قرن تناضل في سبيل مثلها، ولم توطئ وتزدهر إلا في أواخر القرن التاسع عشر، بيد أنها لم تتقدم إلا في غرب أوروبا. أما في شرق أوروبا ووسطها، فقد كانت الملكيات القديمة في روسيا وتركيا والنمسا والمجر وألمانيا تطاردها وتخذلها بكل ما وسعت. ثم كانت الحرب الكبرى، فانهارت الملكيات القديمة الطاغية، وقويت المثل.

والمبادئ الديمقراطية، وظفرت الديمقراطية، بإقامة نظمها في الجمهوريات الجديدة الفتية في روسيا، وألمانيا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولونيا. أما اليوم فماذا بقى لها من هذا الظفر؟ لقد كان ظفر الديمقراطية في روسيا كالبرق الخلب، وكان اسمها بلاسمي فلم تمض أشهر قلائل حتى تار طغيان البلشفية مكان الطغيان القيصري القديم، يخذ جميع الآراء والحريات الخصيمة؛ ولم تثبت الديمقراطية طويلاً في بولونيا، حيث وثبت العسكرية وفرضت سلطانها على الجمهورية الجديدة، واتخذت من الحياة النائية ستارا تملى من ورائه إرادتها. أما في ألمانيا والنمسا فقد استطال هذا الظفر أعواماً طويلة؛ واستطاعت الديمقراطية أن تنشئ الجمهورية الألمانية مكان الامبراطورية القديمة، وأن توطئ دعائم الحريات الديمقراطية، وأن تقود مصير الشعب الألماني خلال الأزمات والخطوب التي تعاقبت من جراء الحرب والهزيمة مدى أربعة عشر عاماً، ولكنها سقطت أخيراً صريعاً للاشتراكية الوطنية والطغيان الهتلري، ومهدت لمصرعها بخلافها الداخلي؛ ومنذ أسابيع فقط لقيت مصرعها في النمسا بعد أن أقامت فيها الجمهورية، وتولت حكمها وقيادتها في أعوامها الأولى، ولبت خمسة عشر عاماً قوة مرهوبة الجانب. وأما في إيطاليا التي تمتعت منذ وحياتها بالحريات الديمقراطية في ظل الملكية الدستورية، فقد غاضت الديمقراطية عقب الحرب بضربة سريعة، وقامت فيها الفاشية منذ اثني عشر عاماً تخمد كل الحقوق والحريات القديمة، وتحدي الديمقراطية في العالم كله، وتوه بقواها السياسية والاجتماعية، وتسير في مبادئ السياسة والاقتصاد من ظفر إلى ظفر، وتقدم القدوة والارشاد لكل نزعة أو حركة طغيان ماثلة.

فالديمقراطية تجوز في الواقع مرحلة عصية وبما كانت تدير انحلالها ومصرعها النهائي. بل إنها في البلاد التي مازالت فيها راسخة وطيدة الدعائم تحبظ في شمار من الصعاب: وتنسحب أنظمة اشتراكية لخصومها مجال الاتهام والانتقاص. ففي فرنسا، مهد الديمقراطية الحديثة، تشدد الحملة على النظم الديمقراطية والحياة النائية لما كشفت عنه الفضائح المالية الأخيرة (فضائح ستافسكي) من فساد شنيع يتغلغل في صميم الحياة العامة، ويصم الحكومات الحزبية والهيئات النائية بهم الرشوة واختلاس أموال الشعب، ويصم القضاء والبوليس بفساد الذمة والقسر على الجناة؛ ويقول خصوم الديمقراطية من

لسيادتها ، ويكتفى أن نسير في ذلك الى ما ارتكبه الفاشية الإيطالية في أعوامها الأول من الجرائم والاعتداءات المريعة ، وما استعملته من وسائل البطش والارغام قبل أن تثبت اقدامها وتقرض ارادتها على الشعب الايطالى ، ويكفى أن نستعرض ما ارتكبه الاشتراكية الوطنية الألمانية مذ ظفرت بالحكم من ضروب السفك والعنف والانتهاك والمطاردات السياسية والدينية الوضيعة ، لتفرض مبادئها وارادتها على الشعب الألماني . وهذه الوسائل الهضجة التي تلجأ اليها الفاشية دائماً في تحقيق سيادتها حينما استطاعت أن تشق طريقها لا يمكن أن ترتفع من الوجهة المعنوية الى مستوى المثل الرفيعة والوسائل السلبية الحرة التي تقوم عليها الديمقراطية وتعمل في ظلها . وما يلاحظ أن الفاشية شعوراً منها بهذا الضعف المعنوي تحاول أحياناً أن تستتر وراء بعض المظاهر الديمقراطية ، فترى الفاشية الإيطالية مثلاً تحتفظ بالبرلمان حيناً وتبقى على بعض صور الحياة النيابية ، وتستخدم فكرة النقابات ؛ وترى الفاشية الألمانية (الاشتراكية الوطنية) تجرى الانتخابات وتظاهر باستفتاء الشعب في الحصول على تأييد أغلبية الساحقة لتحقيق بعض أغراضها السياسية . وقد تفوق الفاشية على الديمقراطية أحياناً بالعمل السريع وتحقيق بعض المظاهر والغايات السياسية والاقتصادية التي عجزت الديمقراطية عن تحقيقها ، كما حدث في إيطاليا مثلاً حيث حققت الفاشية الإيطالية كثيراً من الأغراض والتأثيرات العملية القيمة ، ولكن هذا النجاح المادى يحقق في معظم الاحيان على حساب الحريات والحقوق الشعبية ، وليست وسائله مما يحمد دائماً .

لقد انتصرت القوى الرجعية على الديمقراطية في إيطاليا وألمانيا والنمسا ؛ وقد تنصرفت غير هاغدا ، وربما بقيت الديمقراطية أعواماً أخرى تعاني هذا الضعف والانحلال . ولكن هذه القورات الرجعية لا تقوم على مثل راسخة ، ولا تستمد بقاءها الا من القوة المادية ، وهي في الغالب وليدة ظروف وعوامل مؤقتة ، فتى تطورت هذه الظروف والعوامل فقدت اسباب الحياة . والتاريخ بعيد اليوم نفسه في أوروبا القديمة . في أوائل القرن الماضي ، على أثر انتهاء الحروب البونابارتية ، اجتمعت كلة العروش الاوربية القوية على سحق جميع النزعات والحركات الحرة ، والنمست لذلك عقد محالفة عرفت بالمحالفة المقدسة (اواخر سنة ١٨١٥) عقدت بين قياصرة روسيا وألمانيا والنمسا ، واتخذت في المبدأ صبغة ميثاق

الملكيين والفاشست ، إن مثل هذه الجرائم لا يمكن أن ترتكب بمثل هذه الجرأة وهذا الاغراق الا في ظل الحياة السياسية الحزبية وفي ظل نظام تكسب فيه الثيابة عن الشعب بقوة المال والنفوذ ، وغدت فكرة الدكتاتورية من الحلول المحتملة التي تطرح اليوم في فرنسا كوسيلة لانتشالها من هذه الفوضى ، وغدت هيبة الديمقراطية هدفاً لاشد الحلات . وفي انكلترا أعرق الأمم الاوربية في النظم والحريات الديمقراطية ، يهمس اليوم بكلمة الدكتاتورية ، وتلقى المبادئ الفاشية قبولاً من الشباب الانكليزي ، ويوجد اليوم في انكلترا بالفعل حزب فاشستي صغير لم يحرز بعد أهمية سياسية ، ولكنه يعتبر رمزاً حياً لآثر الفاشية في انكلترا . ولم تحرز الديمقراطية في الأعوام الاخيرة الى جانب هذه الأزمات والخطوب أى ظفر أو تقدم حقيقى الا في اسبانيا ، حيث سقطت الملكية القديمة ، لتقوم مكانها جمهورية جديدة مشبعة بأبعد المثل والاماني الديمقراطية ؛ بيد أن الجمهورية الفتية مازالت تعاني صاعبات وأزمات تكاد تصدع بناءها فماذا يكون مصير الديمقراطية ازامه هذه الخطوب ؟ يتولى أنصار الفاشية والطفليان إن الديمقراطية لا تستحق الحياة لأنها برهنت منذ الحرب انها ليست أهلاً لحكم الشعوب في ظروفها واتجاهاتها الجديدة ، وانها دفعت الحريات السياسية والاجتماعية الى حدود الفوضى ، وسخرت الشعوب لاهوائها ؛ وان الحياة البرلمانية أصبحت مظهر أعقياً من مظاهر التمثيل النيابي ، ولا تعبر عن ارادة الشعب الحقيقية ، وأنها تغدو في كثير من الاحيان عقبة في سبيل الاداة الحكومية تمنعها من العمل المحمدي . وقد يجد أنصار الفاشية في تاريخ الحكومات الديمقراطية ما بعد الحرب كثيراً مما يؤيد هذه التهم ، ولكنهم يخلطون دائماً بين المبادئ الديمقراطية وبين الصور المختلفة التي تطبق بها هذه المبادئ . فهذه المطاعن قد تلحق ببعض النظم ووسائل الحكم التي تقوم على الفكرة الديمقراطية ، ولكنها لا يصح أن تنسب الى الفكرة ذاتها ، واذا كانت الاحزاب والحكومات الديمقراطية قد ارتكبت كثيراً من الأخطاء في ألمانيا وإيطاليا ، واذا كانت توصم اليوم في فرنسا بكثير من العيوب والتهم ، فانها ما زالت في انكلترا والسويد مثلاً تعمل في ظل الملكية بقوة وبراعة وتدل على أنها أمثل طرق الحكم المستنير العادل . والفاشستية لا يمكن أن تزعم انها برهنت من العيوب ، فهي أولاً أبعد صور الحكم عن تحقيق العدالة وصون الحرية ، لانها تقوم على القوة المادية ولا تعف عن ارتكاب أشنع وسائل العنف تحقيقاً

مضى عام للآنسة سهير القلماوى

تسارعت الايام في سيرها الآلى المنظم السريع . الايام الطويلة المملة ، والايام القصيرة الطائرة ، كلها غرقت في بحر الفناء على ألا تعود . وانقضى العام فاذا الدكرى تهادى حتى وقف أمامى ، ثم تمد يدها لتأتى بأجزائها الممزوجة في مخلقى تستكمل بها صورتها المئوية . فاذا الصورة هى هى كما كانت منذ عام ، واذا الألم لها وإن خففه سلطان الزمان الذى لا يقهر ، إلا أنه مازال لاذعاً منزعجاً عن كل شئ . - واه .

كان صباح العيد منذ عام ، فاجتمع أفراد الأسرة كلهم في بيت الوالدين ، اجتمع الأخوات والأخوة ، والأزواج والأولاد والأخوال والأعمام ، واصطفوا جميعاً على مائدة الافطار ، وكلهم وجوههم مشرقة مستبشرة . وكانت هى بينهم - ومتى لم تكن بينهم ولو بمجدها - ولكنها كانت تفكر وتقدم . تضعك معهم وتبسم لا بفسامهم ، ويشرق وجهها لاشراق وجوههم ؛ ولكن نفسها كانت تألم يائسة ، وعقلها مرتبك ، يقدر وفكر ، ويقرر وينتقى عما قرر ، ثم يعود فيقرر ثانية ، فاذا القرار هو هو . وتقلب الاحتمالات والمتغيرات ، تستعرض في خيالها الساعات المقبلة ، وقد نظمتها حسبما ظنت أن ستكون . ماذا لو أنهضت قرارها ؟ ثم تعود فتنتقى عنه من جديد ؛ لم يرقها ما قدرت ، ولكن أى غلص غيره ؟ وأخيراً ، لا بد من القرار الأول ، لا بد منه .

لم يلاحظ عليها الحضور شيئاً ، فقد كانت الحركة التى تأتيناها فى فى رواحها ومجئها لخدمتهم - لأن أمور المنزل أصبحت كلها لها بعد زواج أختها - التى كانت تساعد كثيراً على اخفاء ما بها . واتهى الافطار فانتشروا فى الدار ، وأصوات الاطفال المرححة الصاخبة تملأ أسماعهم . وانهزت هى الفرصة وصعدت الى حجرتها . خافت أن تعود الى التفكير فتربك من جديد ، ولقد شئت الحيرة ولا بد أن تنجو منها ، لقد كانت تلهب رأسها .

وصعدت وراها أختها تناديا ، ونادتها فاذا بها قادمة نحوها

للعمل على تأييد السلام ، وإقامة العدل ، وبث الاخاء ، ولكنها نظمت وعقدت فى الواقع للتعاون على إخماد الحركات الحرة التى أخذت تضطرم من غرب اوربا الى شرقها ، وتبدو فى مطالبات عنيفة بالحريات الدستورية . وكانت الحروب البونابارتية قد شغلت اوربا حيناً عن التفكير السياسى ، خست الريح الحرة التى أثارتها مبادئ الثورة الفرنسية ، ولكن الجيوش الفرنسية الغازية كانت تحمل أينما حلت طرفاً من هذه المبادئ ، فلما هدأت العاصفة التى أثارها نابوليون ، عادت الافكار الحرة والامانى الدستورية لتشق سيلها فى معظم الامم الاوربية ، ومن ثم كان اجتماع العروش القديمة على مقاومتها وسحقها . وقد انضمت معظم الدول الاوربية الى المعاهدة المقدسة ، وطبقت غير بعيد فى المانيا والنمسا حيث قيدت حرية الصحافة ، وفرضت الرقابة الرسمية على الجامعات ، ولكن هذه الجبهة القوية التى نظمتها الطغمان لمقاومة الحريات الشعبية لم تكن شيئاً ، ولم يمض ربع قرن آخر حتى كانت معظم الدول الاوربية تضطرم بالنورات والفورات التحريرية ، وكانت القوى الرجعية ترغم على بذل المنح الدستورية المختلفة . وقد استمر هذا الصراع بين الطغمان والديموقراطية طوال القرن التاسع عشر ، وانتهى بظفر الحريات فى معظم الامم الاوربية .

ونحن اليوم نشهد هذا الصراع كرة أخرى . ولكنه يتخذ اليوم صورة جديدة . فالقوى الرجعية لا تستند اليوم الى العروش والحق الالهى ، ولكنها تتشح بانواب شعبية ، فالفاشية تزعم فى ايطاليا ومانيا أنها تقوم بإرادة الشعب وتسير طبقاً لها ؛ وتحشى ان تبدو مجردة فى ثوبها الحقيقى ؛ وهذا دليل على أنها رغم ظفرها المؤقت مازالت تحشى قوة الديموقراطية الخفية . ونحن مازلنا تؤمن بمستقبل الديموقراطية رقتها . واذا كانت الديموقراطية قد استطاعت ان تصمد طوال القرن الماضى لجميع القوى الرجعية التى هاجمتها وقاومتها ، مع أنها لم تكن قد استكملت يومئذ كل مموها وقوتها ، فانها اليوم وقد رسخت مبادئها ومثلها فى جميع الامم الاوربية واقامت لها صروحاً قوية شائعة ، وأضحت قوام الحياة العامة فى كل بلد ، لا يمكن ان تستكين طويلاً الى عدوان الفاشية ، ولا بد أن تنهض غير بعيد من عثرتها ، وتستعيد كل قوتها وسلطانها ، يوم تنفض عنها غبار هذه المفاسد الشكلية التى اسبغت ريباً على هيبتها ؛ ويوم تنبذ ذلك الخلاف الذى فت فى قواها ومكن لخصومها .

محمد عبد الله عنان

التطور وروح الدين

للاستاذ محمود الشرقاوى

« انا وجدنا الفارح قاصدا لصالح العباد . والاحكام
للعادة تدور معه حيثما دار . فري الله الواحد يمنع في
حال لا تكون فيه مصلحة . فاذا كان فيه مصلحة جاز »
والشاطي »

لكل دين من الأديان روح تسيطر على مجموعته ، وتتمشى في
أصوله وفروعه . وتميز دعوته وتربط أحكامه جميعا ، وتساق بين
أجزائه وتوجه تيارها الى غاية خاصة ،

والاسلام يمتاز من جميع الأديان بأنه دين عام خالد لا دين بعده
ولا رسالة . فهو لذلك قد جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية
من الاصول لجميع ظروفها وأحوالها وأزمانها وأما كونها ، والحياة
البشرية متغيرة سريعة التحويل والانقلاب والسير في طريق التطور
من حال إلى حال ومن قديم إلى جديد ، وبالأخص في عصرنا هذا
الذي تضاعف فيه سير الحضارة ، واختلطت الشعوب والانفكار
واستولى على الإنسانية كلها ما يشبه الحى في سرعة التحويل والانتقال
فهل روح الاسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم
العالم ؟ وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تعداها إلا اذا
تركت الدين واستعاضت عنه بأشياء مدنية لا بد منها لاستكمال الحياة
البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال إلى حال ؟ أما أنا فأجيب
بأن الاسلام لا يتعارض بتاتا مع سير البشرية وتحولها . وأنه دين
لين واسع الأفق ، نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من
مظاهر الحضارة ، وأن نجد في نصوصه ما يسير الاطوار المختلفة
التي تخطاها البشرية في عصورها المتباعدة ، وهذا ما أريد أن
أكتب عنه في هذا الفصل ،

ويجب أن نلتفت إلى الفرق بين : روح ، الدين وغايته . وبين
أحكامه الفرعية وتطبيقاتها ، والفرق بين الدين كشعور وعقيدة وإيمان ،
والدين كعقائد وأشخاص دينيين ومظاهر كنسية للحكم والسيطرة .
فروح الدين وجوهره هو الشيء الخالد الباقي الذي لا يتعارض مع
أى عصر . والذي يحد فيه كل حضارة وكل أمة في كل زمن ما يتفق
مع احتياجاتها ويعينها ويسددها في سبيل الغاية العليا والكمال البشرى

نصرخ وتناوه ، ووجهها أغبر قائم ، وجسمها يتلوى من الألم ،
ويدها على معدتها تضغطان بعصية وتقلس ، فصاحت أختها ما بك !
ما بك ؟ وضمتها الى صدرها تسندها من الوقوع فوقعتا على
الدرج معا . وهزتها ثانية ما بك ؟ فتمتمت بصعوبة مريرة متألة
« شربت سماً »

كثتان هما آخر ما نطقت . كثتان قلبتا العيد مأتما ، كثتان حولتا
شابة مليئة بالحياة والنشاط الى جثة هامدة لا تحس ولا تشعر . واجتمع
الاهل والصحب والحلان حول ضحية العيد ، منهم من أسعفه البكاء .
فبكى ، ومنهم من حيرته الفاجعة فذرب لسانه بأسبابها وصاح يستلهم
الجثة جوابا عما حير فكره وصدع قلبه . ومنهم من وجم يستعرض
في وحدته صورا تتألى فلا تشعر ارتباطا فى تأليها ولا أثرا لمرورها
فى مخيلته . وأخير منهم من اختل توازن أعصابه وفقد القدرة على
حكمها ، فراح لسانه ينطق بكل ما يمر فى خاطره المضطرب المحموم
وفى الصباح جاءت صدايقاتها بورودهم البيضاء وكانهم آتون
لعرسها ، ثم أودعوها حفرة ضيقة وعادوا جميعا وكل منهم يظن أنه
فى حلم مروع يتلس اليقظة منه فلا يصحو . ومتى كانت الحياة
الا روى تتابع ! روى نراها افرادا فنختلف فى حقيقتها ، وروى
نراها جماعة فنجمع على حقيقتها ؟

أودعوها حضرتها ، وأودعوها معها ، ولكن متى دخل لسان
الناس افواههم ؟ متى استراح لسان الناس فى أشد المواقف استدعاء
للاستراحة ؟ هل احترموا جلال الموت ؟ هل خشعوا امام الجحمة
مريرة للأسرة بأجمعها ؟ كلا ! لم يخلق اللسان الا للكلام ، فاذا سك
لم يحقق الغرض من خلقه ، واذا لم يحقق جزء من المخلوقات الغرض
من خلقه فقد اختل نظام الكون كله !

وفى العيد تجتمع الاسرة لاعلى مائدة الافطار وانما حول قبرها
فى مدينة الاموات الهادئة ، وهناك تنادى فلا تجيب كما كانت تفعل
منذ عام ، وهناك تبكيها فلا تشاركها شعورها كما شاركتهم
الابتسامة والفرح منذ عام ، وانما ترفرف روحها من عليائها رائحة
غادية لا ترتبك ولا تضطرب ، فليس لديها ما تخفيه وقد حجبت الفناء
بأساره الكثيفة المظلمة .

سهر القلبواوى

الذى تسير اليه ، روح الدين وجوهره هو الشئ الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى هذا الفهم نستطيع أن نجد في نصوص الدين الاسلامي وفي تاريخه أشياء تؤكد لنا أنه دين يستطيع أهله أن يجدوا فيه كل ما يتفق مع مظاهر الحضارة التى تغمرهم وتجذبهم اليها وتستولى عليهم وعلى جميع الدنيا طوعاً أو كرها .

وهذه أشياء أذكرها توييد ما أقول وتفصح عما أريد :

هذه المسيرة للزمن ، وتطبيق الأحكام على ملابسات الأحوال والظروف واختلافاتها . مع المحافظة على جوهر النصوص وروح الدين . نجدها عند شخصيات في قلبها بصيرة للوقوف على مراميها وإدراك الغاية منها وعدم التقيد بحرفيتها ، ونجدها في بيئة تختلف عن البيئة التى عرفنا فيها هذه النصوص ودرسنا مآلاتها فيها وما استرشدت فيه بحاجاتها وحدودها العقلية والمدنية ومميزات الجغرافية والتاريخية .

فتلّا إذا كنا في عصرهين لئن نحتاج فيه إلى زيادة الانجاب والنسل ، نجد من روح الاسلام ما يشجعنا على التكاثر والتاسل والنماء . وإن كنا في عصر عسير محرج ضيق نحتاج فيه إلى القصد في الانجاب والالتفات فيه إلى الكيفية لا إلى الكمية . فنجد من روح الاسلام ما يجعلنا نخفف من نسلنا ونثقل على ما نريد . بل نمتنع منه إذ نريد . نجد صحابيا جليلا وحاكما قادرا يبيع لنا التقليل من النسل . بل يوشك أن ينهانا عن العيال : « يا معشر الناس : إياكم وخلا لا أربعة ، فانهنادعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المدة بعد العزة ، إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال . . . الخ ، (١) »

وإذا كنا في عصر يتشدد أهله في علاقاتهم الزوجية ولا يمتنون برباط الأسرة ، ويعرفون أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فنحن نستطيع أن نجد في أحكام الإمام والخليفة عمر بن الخطاب ما يجعل الطلاق الثلاث بلنظ واحد يقع ثلاثا ، وإذا كنا في عصر مثل عصرنا الحاضر وهنت فيه العلاقات الزوجية واضطرب رباطها وأصبحت ألفاظ الطلاق على كل لسان ، فنحن نستطيع أن نجعل الطلاق

الثلاث بلفظ واحد يقع طلقا واحدة ، ونجد في نصوص الاسلام ما يبيح لنا ذلك كما وجدنا ما أباح لنا الأول : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم » (١)

وهذا ما فعلناه نحن في مصر ،

وإذا كنا في إقليم وفي مجتمع يلزمنا عمرة للرأس . وكان غيرنا من المسلمين في إقليم أو مجتمع يلزمهم عمرة للرأس خاصة غير عمرتنا ، أو يجعلهم يسبغون حاسرين ، نجد من روح الاسلام ما يجعلنا نلبس ما نشاء . ويجدون هم من روح الاسلام ما يجعلهم يلبسون ما شاؤوا أو يحسرون كما يشاؤون : « كل ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو غيلة ، (٢) »

الامام الشاطبي من أعلم الرجال في أصول الدين . ومن أبرعهم وأوسعهم فهنا في تطبيق النصوص الدينية والموازنة بينها وبين الأحوال . وله كلام يجب على كل رجل من رجال الدين أن يتدبره ويعتبره ، لما يدل عليه من فهم جيد لروح الاسلام ومسارته لكل عصر وكل حضارة . وطواعية أحكامه ونصوصه لأن توافقي كل حضارة وكل جيل .

يقول الشاطبي : « ... والمسكوت عنه من الشارع لا يقتضى مخالفة . ولا يفهم للشارع قصداً دون ضده وخلافه . فإذا كان كذلك رجعنا إلى النظر في وجوه المصالح . فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالا للمصالح المرسله . وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالا للمصالح أيضا . وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالا للمصالح المرسله أيضا » (٣)

ويقول : « إن الشارع توسع في بيان العلال والحكم في تشريع باب العادات . وأكثر ما عطل فيها بالمناسب الذى إن عرض على العقول تلقته بالقبول ، ففهمنا من ذلك أن الشارع قصد فيها اتباع المعاني لا الوقوف مع النصوص » (٤)

(١) صحيح مسلم ص ١٨٣ ج ٤

(٢) ابن عباس رضاه عنه

(٣) المواقات للشاطبي ص ٢٨٩ ج ٢

(٤) ص ٢٩٣ من نفس الجزء . والكتاب

(١) من خطبة لعمر بن العاص خطبها في مصر أيام ولايته الأولى عليها ، أوردها ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها ص ١٣٩ طبع ليون رابن تيري بردي في النجوم الزاهرة ص ٧٣ — ج ١

الاسماعيلية

الملقبون بالحشاشين (١)

مقدمة

هذا بحث موجز لطائفة الاسماعيلية التي عرفت اخيراً عند أهل التاريخ بطائفة الحشاشين ، والتي تركت في تاريخ الاسلام في القرن الرابع الهجري أثراً كبيراً ، وتاريخ الاسماعيلية قديم يرجع الى عام ثمانمائة وأربعين لليلاد ، بعد أن انتشر الدين الاسلامي وساد كثيراً من الأقاليم والبلاد ، قام بانتشاره دعوة في أقاصي الجهات وأدائها يحاولون الخط من قدر الرسول ، ويحتدرون الأحاديث الملفقة اختراعاً يقلل من هبة الدين الاسلامي ، ويؤزل به من مستواه الرفيع ، وكان أنشط أولئك القوم وأكثرهم تحمساً ابن ديسان ، ويقال إنه الجد الأعلى لعبد الله المهدي الفاطمي (٢) صاحب الدعوة بأفريقية ، فقد كان يكره بني العباس ويود لخلافتهم الزوال ، فبث دعائه في بلاد الفرس حوالي عام ٨٤٠ م حيث تبعه خلق كثير ، وألف كتاباً في الزندقة سماه «الميزان» وألف عن تبعوه عصاة سرية نسبت نفسها الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسميت بالاسماعيلية ، ثم انتشر أتباعه بمرور الزمن في جزيرة العرب والشام وأفريقية ، وظلوا نحو قرنين ونصف قرن ، تسرى تعاليمهم في جسم الدولة الاسلامية كسريان السم في العروق ، حتى جعل منهم الحسن ، ابن الصباح ، أخيراً عام تسعين وألف لليلاد طغمة سياسية تقلب الممالك وتخرب العامر من الديار ، وتسفك الحرام من الدم ، وتعمل في مختلف البلدان سلباً ونهباً وقتلاً ، وتدمر تعاطي الحشيش حتى لقبوهم بالحشاشين وسماهم الفرنجة Assassins وأطلقوا هذا الاسم على كل قاتل سفاك ، وبقوا على تلك الحال

(١) كلمة «الحشاشين» تعبر بحرف جماعة لفظية الاسماعيليين : والصواب «الحشيشية» فهي الكلمة التي تطلقها عليهم الرواية الاسلامية المعاصرة . وهكذا يسميهم أقدم مؤرخي الحروب الصليبية من المسلمين مثل العماد الاصفهاني صاحب «الفتح القسبي» وشهاب الدين القسبي صاحب الروضتين (راجع الروضتين ج ١ ص ٢٥٨) (الرسالة)
(٢) هو عبيد الله المهدي الفاطمي لأعبد الله (الرسالة)

والشاطبي أشياء في غاية الجمال والابداع من هذا الضمير الواسع المحيط . وهذه النظرة الشاملة النافذة الى جوهر الدين وحقيقته الراحية لروحه الكلي الشامل ، وعلى رأس هذا الفصل فقرة هي الدستور الذي يجب أن يتوجه كل مفكر ديني

يقول الشاطبي ايضاً : « قد تكون العوائد ثابتة وقد تتبدل ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها والتبدل منها ما يكون متبدلاً في العادة من حسن إلى قبح وبالعكس . مثل كشف الرأس فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع . فهو لذوى المروءات قبيح في البلاد الشرقية . وغير قبيح في البلاد المغربية . فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك ، فيكون عند أهل المشرق قاذواً في العدالة ، وعند أهل المغرب غير قاذح ، واعلم بأن ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ، فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب . لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية » (١)

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب عن الرمل في الحج : « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب : وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله . . . » (٢)

وسرق جماعة لخطاب بن أبي بلتعة ناقة لرجل من مزينة . فلما أرسلوا إلى عمر بن الخطاب أقرؤا على سرقتها ، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم . ثم ردهم وقال : « إنهم يجمعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له . ولم يقطع أيديهم » (٣)
ولما جاءت المجاعة والقحط في سنة ١٨ هـ أيام خلافة عمر بن الخطاب لم يقطع أيدي السارقين

نحن نستطيع أن نسير مع كل حضارة . وأن نأخذ من حضارة الغرب ما يفيدنا ونبتلنا ونبلق حياتنا باللقاح المجدد ، ولا نجد في روح الاسلام ما يصدنا عن ذلك .

ولكن المشكل هو في وجود الرجال الذين يفهمون روح الدين بالعقل اليقظ الواسع الحر المعارف حاجات العصر وتيارات الحضارة والذعن البشري ؟
محمود الشرقاوي
عالم من الأزهر

(١) ص ١٩٨ — ١٩٩ — من المواقفات ج ٢
(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الفرج بن الجوزي ص ٩٢
(٣) أعلام الموقعين ص ٣٢ ج ٣

والنصرانية ينكر فيه بعث الاجسام ويقول إن جسد المسيح لم يكن جسما حقيقيا بل هو صورة شئت للناس أرسلها الله تعالى . وله تعاليم أخرى بقيت بعد الاسلام ، ومنها استمد الرافضة بعض أقوالهم . وقد انتسب اليه بعضهم كآبي شاكر الديصاني الذي بعث دعائه في بلاد الفرس والعرب والشام وجمع حوله اتباعا وانصارا نسبوا انفسهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسموا بالاسماعيلية وهم غلاة الرافضة . يقول ابن خلدون ، افترقوا الرافضة فرقتين : الاثنا عشرية والاسماعيلية ، تلك بعض تعاليمهم أول أمرهم وقد انقلبوا أخيرا الى فرقة سياسية تعمل على هدم الخلافة العباسية ، ولم يعد لهم (مذهب) بالمعنى الصحيح يدعون اليه ، وكانوا في العراق يطلق عليهم اسم القرامطة (١) حتى تولى زعامتهم الحسن بن الصباح فلقبوا بعده بالخشاشين ، ونحن نجمل تاريخهم قبل زعامته التي بدأت عام ٤٨٣ هـ وامتت عام ٥١٨ هـ .

بدء القرامطة :

كان بدء ظهورهم في البحرين على يد رجل يعرف يحيى بن المهدي نزل في قطيف على رجل يدعى علي بن المعلل بن حمدان مولى الزبائدين ، وكان يقال في التشيع ، فظهر له يحيى أنه رسول المهدي ، وكان ذلك سنة ٢٨١ : وذكر أنه خرج الى شيعة يدعوهم الى أمره وأن ظهور المهدي قريب ، فارسل علي بن المعلل الى شيعة من أهل القطيف فأقرأهم كتاب يحيى الذي زعم أنه من المهدي فأجابوه ، وكان فيمن أجابه ابو سعيد الجنابي الذي تولى الزعامة فيما بعد (٢) وخلفه فيها ابن الصباح ، وظل يحيى يئيب عنهم ثم يعود اليهم ، وفي كل مرة يطلب منهم المال زاعما أنه يذهب به الى المهدي . وفي عام ٢٨٩ ظهر بالشام رجل قرط على اسمه ذكرويه بن نهرويه يدعو الى مذهب القرامطة ، ولقبه اتباعه بالشيخ ، وزعم أنه من أحفاد اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، واستفحل أمره فسير اليه المعتضد جندا ظفروا باتباعه واسروا رئيسهم أبا الفوارس . وهنا نذكر ما دار بين أبي الفوارس والمعتضدين جاءوا اليه به لتدين شدة القوم وجراحتهم على خلفاء العباسيين . يقول ابن

حتى قضى عليهم عام ١٢٥٦ م ، أي سنة ٦٥٤ هـ بوفاة خليفة الحسن ابن الصباح الأخير ركن الدين بن محمد ، ولا يزال للاسماعيلية الى يومنا هذا أتباع ومريدون ، ولكن شتان بين ما لهم الآن وما كان لهم في تلك القرون الغابرة من قوة وسلطان ، وهم متفرقون في فارس والهند ، وزعيمهم أغاخان الهندي الثرى المعروف .

وقد كان لتلك الطائفة عدا اسم الاسماعيلية أسماء أخرى فسموا بالقرامطة نسبة إلى قرط إحدى قرى البحرين التي تفشى فيها مذهب ابن ديسان في القرن الثالث الهجري بدعوة من رجل يقال له حمدان قرط ، يقول ابن خلدون ، وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة واستقرت لهم دولة بالبحرين ، وكان من أسمائهم (الباطنية) وذلك لأنهم كانوا يبطنون دعوتهم وينشرونها مكتمين في عهد المستضيء العلوي لابنه نزار ، وقيل انما سموا بذلك أيام الخاكم بأمر الله العيدي الذي أنشأ في القاهرة في القرن الثالث الهجري مدرسة سماها دار الحكمة كان الطلاب يعلمون فيها معنى مكتوما لمن القرآن ، وسواء أكان السبب هذا أم ذلك ، فالتسمية راجعة الى تكتم القوم في دعوائهم وتعاليمهم . وكان من اسمائهم أيضا اسم الخشاشين ، وقد لقبوا به أخيرا ، واطلق على طائفتهم التي عاشت أيام الصليبيين . وسنذكر فيما بعد أثر ذلك المذهب عندهم ، وكيف استغلوا فعله في قضاء مآربهم . وسموا كذلك بالفدائية لأنهم كانوا يجعلون انفسهم ، وخاصة في عهدهم الأخير ، فداء لرئيسهم ينفذون أمره ولو أدى ذلك الى التضحية بالنفس في سبيله . والمصادر الشرقية تطلق عليهم غالبا اسم الاسماعيلية والملاحدة والزارية . وهذه الاسماء الكثيرة هي لطائفة واحدة تعددت باختلاف الملابس والظروف . فهم اسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر ، وهم فدائية لأنهم يضعون بانفسهم فداء لرئيسهم ، وهم ملاحدة لأنهم عند البعض ينكرون الاله ، وهم قرامطة نسبة الى قرط وهكذا . . . غير ان اسم الخشاشين هو الذي عرفوا به آخر أمرهم .

مذهب الاسماعيلية

كان للريان الفضل في نشر الفلسفة اليونانية ، وخاصة مذهب الافلاطونية الحديثة في العراق وما حوله ، وقد ترجعوا الكتب من اليونانية الى السريانية فانتشرت فيما بين النهرين ، وكان من أشهر رجال الدين والأدب من السريان الذين عرفهم المسلمون برديسان أو ابن ديسان ، وقد توفي سنة ٢٢٢ م وله مذهب ديني يجمع بين اليونانية

(١) من الخطأ أن يقال إن القرامطة هم الاسماعيلية . فالقرامطة فرقة ثورية مستقلة من غلاة الشيعة قامت على مبادئ ودعوات خاصة بها ، وكانت في كثير من الاحوال خصمية للاسماعيلية الفاطمية (الرسالة)

(٢) توفي سنة ٣٠١ هـ

٢ - تولستوى

اجتماعياته

- ٣ -

لن يحقق هذا حلم مؤتمرات تعقد ومعااهدات تمضى أو نظم تعدل وقوانين تفرض .

وإن مؤتمراً يجتمع ويتلوه مؤتمرات أخرى لا تحل مشاكل العالم . وإن سكنت ألم الانسان الى حين ، والمعاهدات قصاصات ورق لا تغير شيئاً ولا تدفع مضرة ، ولا يخفف من البؤس الواقع حزب اشتراكي يتولى أو حزب محافظ يتحكم . فليس معنى ذلك الا أن طبقة حلت محل أخرى . وأفراداً استبدل بهم أفراد . وليس معناه الا أن يبقى النظام الحالى بضرائبه المرهقة وحواجزهم الجبركية المشتطة وميزانيته العجيبة بنفق ثلاثة أرباعها على اعداد الجيوش وتجهيز الحروب .

إن الاصلاحات التى تفكر فيها الجماعات الحديثة من تحديد ساعات العمل أو تنظيم علاقات المالك والاجر على ما فيها من الفائدة لا تبحث الشر من أساسه . فكيف الطريق إذن ؟

أثورة دسرية لا تبقى ولا تذر ؟ تراق فيها دماء الطبقة الحاكمة ويرشق فيها أرواح الأغنياء ؟

ولكن تولستوى كان آخر من يدعو الى العنف وآخر من يفكر فى مقابلة الشر بالشر .

واستمرت خداع الناس وقتنهم عن دينهم ، وذلك بظهور الحسن ابن الصباح وتولييه زعامتها عام ١٨٣٤ هـ فجعل منها عصاة سياسية بجرمة دينها أن تعيش فى الأرض فسادا تقتل وتتهب وتتلقي الوداعين . تلك هى طائفة الحشاشين فى نهاية القرن الحادس الهجرى . وقبل أن نشرح أعمالها نتكلم عن زعيمها هذا وكيف وصل الى زعامة القوم فهوى هم الى الحضيض الاسفل من الاخلاق والسلوك .

محمد قنرى لطفى

« للبحث بقية »

ليسانس في الآداب

الاثير « فأحضره (المتنشد) بين يديه وقال له أخبرنى ، هل ترعمون أن روح الله وأرواح أنبيائه تحل فى اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له يا هذا إن حلت روح الله فىنا فما يضررك ، وإن حلت روح ابليس فما ينفعلك ، فلا تسأل عما لا ينفعلك وسل عما يخلصك ، فقال له وما تقول فيما يخصنى ؟ قال أقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حى ، فهل طلب بالخلافة أم هل يابعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص له ، ثم مات عمر وجعلها شورى فى ستة أناس ولم يوص له ولا ادخله فيهم ، فلماذا تستحقون الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ فأمر به المتنشد فغذب وخلعت عظامه ثم قطعت يده ورجلاه ، فهذا الكلام وتلك اللهجة التى يخاطب بها أحد زعماء القرامطة خليفة المسلمين تدل دلالة واضحة على استبدال القوم وجرائهم فى الانصاح عن آرائهم ومذهبهم ، وقد ظل القرامطة بعد المتنشد فى حروب مع المكتنى ومن بعده من الخلفاء طوال القرنين الثالث والرابع الى قبل منتصف القرن الخامس يهزمون ويهزمون ، حتى دوخوا الدولة وشقيت بهم الناس ، وعانت الدولة العباسية فى سبيل قمع حركتهم جهدا كبيرا ، وشغلوا بحركاتهم الهجومية جانباً عظيماً من وقت الخلفاء . فحشدوا لهم الجيوش يقاومون دعوتهم الجريئة وخروجهم عليهم ، وكثيرا ما انتهزت جيوش الخلفاء أمام جيوشهم واستماتهم فى الدفاع ، وكمن غنائم ظفروا بها وأرواح اودوا باصحابها ، وكمن اسرى قلوبهم وصفدوهم بالاغلال . وأظهر ما فى تاريخهم فى تلك السنوات العديدة أعمالهم الوحشية واتخاذهم القتل والتعذيب وسيلة الى دعوتهم ونشر مذهبهم ، واشنع من ذلك اعتداءهم على قاصدى بيت الله يقتلونهم ويسلبونهم اموالهم وينشرون الرعب فى القلوب حتى قل زائر الكعبة وانقطعوا عن الحج فى بعض السنين ، وقد سودوا صحيفتهم بالاعتداء على الحجر الأسود ونقله الى أحد حصونهم حيث بقى فيه نحو اثنتين وعشرين سنة .

هذه الذمة التى اجملنا تاريخها الى عام ٣٦٦ هـ وفيه أوقع صاحب ماوراء النهر بجمعهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها منهم والذى اسرفنا فى اجماله حتى لا يمل القارىء من تفصيل الحروب وكثرة المواقع ، هذه الذمة هى التى ازدادت شوكتها قوة وامرها خطراً وسدرت فى أعمال القتل والنهب وامتعت فى تعاطي الحشيش

ان التعاون لا يمكن أن يقوم على سفك الأرواح . والرخا . من المستحيل أن يعتمد على أسنة الحرب . وما كانت الانسانية التي بشر بها تولستوى ليكون الطريق اليها مغطى بالدماء حافلا بأعين المجروحين وجثث القتلى .

لقد قامت الثورة الفرنسية باسم أشرف المبادئ الانسانية وعلى أكتاف أشد الناس حماسة واخلاصا . وحسب الناس أن نوراً جديداً قد اشرق يلوح بالسلام المنشود والهناء الدائم . ولكن الثورة الفرنسية لم تنجح كثيراً . ولم تفعل رغم الادعاءات العريضة التي بشرت بها الا أن تحل طبقة محل أخرى وتستبدل اسما باسم ومملكة بجمهورية .

وفشلنا راجع إلى أنها قامت على العنف وازاقة الدماء . إن الشر لا يجب ان يقابل بالشر ، وإن أكبر ما يعاب على المجتمع الحالي اعتقاده أن الثورة الدموية هي الطريق للخلاص ، وإن الحرب شر لا بد منه . وأن القتال قانون طبيعي لولاه لازدحم العالم بالسكان ولما وجدوا قوتا يكفيهم . وليس أسخف من هذا الزعم زعم . فان أشد ما ينتز به الفرد هو حياته ، وأقدس واجب لديه هو المحافظة على هذه الحياة والعمل على ابقائها . وأكبر أمنية للانسان هو الخلود أو العيش الى أطول العمر ، فتقاضى إذن ان تزعم ان قانون الحياة هو الموت أو ان من الضروري ان يقتل الأخ أخاه .

لقد دعا تولستوى الى السلام والاخاء الانساني . وأهاب بالانسانية القضاء على التسلح والمقاومة .

وقد يبدو أن هذا أمر ثانوى لا علاقة له باصلاح العالم . ولكن يعتقد الافراد جميعا ان الشر هو في الحروب . ان يؤس الانسانية راجع الى العنف والاستبداد ، وليؤمنوا بالسلام وضرورته ، وستسقط بطبيعتها جميع النظم القائمة . فلن تقوم حكومة من الحكومات الا إذا استندت الى إرادة الشعوب ، ولن يوضع قانون الا اذا رغب فيه الافراد . ولن تسير دقة عمل من الأعمال الا اذا كان قائما على التعاون والاشترك . ولن نجد نزاعا بين دولة وأخرى الا ويقض في بضعة أيام عن طريق التحكيم . فتولستوى يرى من البعث التفكير في كيف تكون الحكومة . أو على أى أساس تشرع القوانين . إذ الحكومة لديه ليست الا مجموعة افراد والقوانين ليست إلا من وضع بضعة افراد . والدولة لامتني لها لا مجموع افرادها ؛

ففي إصلاح الفرد وحده . وفي الارتفاع بعقليته والسمو بنفسه أساس المدينة المستقبلية . ماذا يجدى ان تصلح من شأن حكومة ، اذا كان القائمون بها هم لم تغير نفوسهم

لن يجدى هذا نفعا . ولكن يكفي ان يعتقد كل فرد بوحيية الحروب في سبيل قطعة أرض أو من أجل شهرة وطنية كاذبة . ويكفي أن يمسى هذا الاعتقاد عملا حتى يشرق الصباح عن اختفاء الله الحرب من الارض

ويمكن . اذا آمن الناس بضرر الفروق الاجتماعية بين الطبقات وما يساعد على ابقاء هذه الفروق من قانون الوراثة ونظام الملكية . أن تحتل الملكية فجأة وتحل المساواة بين البشر .

ولاشك أنه لو أيقن كل إنسان أن سعادته في خدمة أكبر مجموعة إنسانية يستطيع خدمتها لانهارت من أساسها مانسبها الوطنية التي تراق من أجلها النماء وتزهق تحت عليها ملايين الارواح . ويحمر باسمها الخراب والدمار والارتباك المالية والاقتصادية .

فلنقم الشعوب . لا . بل لنقم طائفة منها تعلن أن كفاهم رياء وخداع ، وانهم لن يخضعوا الا لما توحى اليهم ضمائرهم ، ولن يعملوا الا ما تحتم عليهم ضمائرهم . فلا يذهبون الى قتال يتفقدونه شرا ولا ينفذون قانونا لا يرون فيه خيرا . ولا يدفعون ضريبة لامتني لها . ولا شك أن كل مساوىء العهد الحالي تصعب في خبر كان

ان للرأى العام قوة عظيمة تسير الحكومات والدول . فاذا ما أراد الرأى العام شيئا فهو واصل الى ما يريد . والرأى العام ساخط متذمر من النظام الحالي وهو يريد أن يعمل شيئا ، ولكن لا يعرف ما يريد ولا يدري ماذا يعمل .

قد تسأل : ومن له الشجاعة ليقوم بهذه الدعوى ومن له الاستعداد لمسا قد تجرعه عليه من اضطهاد وسجن وتشريد ؟ ولكن تولستوى يعجب : لماذا ننظر الانسانية متفذا من السماء أو مسيحا يهبط الى الارض .

إن نفسية الجماعات الحالية لا تحتاج الا الى بضعة افراد بل فرد جرى يرشدها الى طريق العمل حتى تقوم قومة رجل واحد .

— ٤ —

إن صلاح نفوس الافراد وتربيتهم من أخطر ما يدعو اليه تولستوى ، وهذه التربية إما أن تتناول الصغار أو الكبار . ففي الكبار

فالألم كما يرى تولستوى يجب أن تختار لابتها زوجا قوى
الجسم يمثل الصحة حبا للعمل ناسية مكاته الاجتماعية غير ناظرة
إلى حبه انتفخ بالاوراق المالية أم لم ينتفخ .

والزوجة يجب أن تؤمن بأن عظمتها في المنزل . وذا انشاء طفلها
الذى قد يتحكم يوما في مصير العالم . وهى اذا كانت قد تلقت أرقى
العلوم فلكى تحسن ادارة بيتها . وهى ان درست ووقفت في الدرس
فلكى تجيد تربية طفلها . فالمرأة في يدها مستقبل هذا العالم .

ولكن أى امرأة ؟ ليست هى هذه المرأة المستترة ، ليست
هى سيدة الصالونات . ولكن ربة البيت والام الرحيمة تنشئ
أطفالها على حب السلام وحب الآخرين . وترى فيهم كراهية
الشر ومقت العنف

•••

لقد نادى تولستوى بكل هذا في اخلاص وإيمان وبعد تفكير
طويل وتدر ليس بالقليل ، وقد توافق على دعوته وقد لا توافق .
وقد تحسبها الحكمة بعينها أو خيالا متطرفا . ولكن لا يسعك
الا أن تعجب بالرجل وأن تعجب باخلاصه ، وان تجد أيضا في
دعوته الحق أو بعض الحق

ولمالك تشاق بعد هذا الى معرفة شئ عن حياة تولستوى أو فهم
الظروف التى أحاطت به فخلقت منه رسول السلام والانسانية
على الأرض . هذا ما قد نكتب فيه مرة أخرى .

شهادى عطية الشافعى

بكالوريوس آداب

ظهر حديثا

أبو على عامل أرتست

مجمعة من القصص المصرية العصرية

للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً

بث العقيدة الانسانية فيهم واقناعهم ان لا فائدة تعود عليهم من حرب
ضروس ، والاهابة بهم الى نبذ العنف واحلال الوئام والصفاء .
وأما تربية الصغار فهى أجل وأعظم شأننا .

ولقد سد تولستوى الى التربية الحديثة سهاما مسمومة .
وكان لها تهما شنيعة ، وليس يسه من أمر المدرسة علوم تحشى بها
أذهان الطلبة المساكين ولكن بعينه روح التربية .

فالتربية الحديثة تساعد احط الغرائز على الظهور والسو ، فهى
تبعث التنافس والغيرة والحقد في نفوس الاطفال وتشبعهم بفكرة
العقاب والثواب ، وتلق في دوع الطفل الانانية وحب الفوز على أكتاف
اخوانه من التلاميذ . فهو ينادى على تقدمه عليهم ، ويكافأ اذا بذلهم وفاقهم
وهى فوق ذلك تربية عسكرية تهمل شخصيات الاطفال اهمالا
وتزعم أنها مستطبعة ان تشكل عقليات متغيرة . تشكيلا واحدا .
وهى مضطرة في سبيل هذا ان تخضعهم لنظام معين وتجبرهم بالقوة
على التزام حركات خاصة والجلوس في غرف ضيقة مما ينفر الطفل
من المدرسة والمدرسين ، ومما يكبت فيه ميوله الطبيعية ومواجهه .
إن الطفل له شخصية قائمة . وليس يتاح لآى مدرس ان يفهمه
على حدة فيعرف ما يلائمه وما لا يلائمه . والمدرسة الوحيدة التى يمكن
ان ينال فيها الطفل تربية صحيحة هى البيت .

نعم هى منزله . حيث يجد الحنو والشفقة الابوية . وهى مسكنه
حيث تراعى ميوله وحيث يفهمونه فهما حقا . وبذا يرفع تولستوى
من شأن التربية المنزلية ويجعلها فى المكانة الاولى . وقد جره هذا . الى
البحث عما اذا كان البيت والعائلة الحالية يصلحان مكانا لتربية الاطفال .

وجوابه أن لا

نظام الزواج الحالى نظام عتيق قاسد ، والعلاقات العائلية اليوم
كبقية العلاقات لا تستند إلا على الربا . والعنف . فالمال يتحكم
تحكما في العلاقات الزوجية . والرجل الغنى هو كل شئ . في الزواج
الحديث . مهما كان أو مريضا ، ضعيفا أو منحطا . فهو يرحب به
لأنه ذو مرد . لأنه أقدر من غيره على الاتفاق . والفئة
الحديثة لا تكاد تفهم مهمتها التى خلقت من أجلها . والزوجات يرون
في الالتصاق بالبيت عاراً أو تأخرأ . بل يحسبن في الاطفال
عبثا قبيلا لا يتفق والسفرة ومحال الرقص . ولا ينسجم والرقوة والاناقة .
ومن هنا دعا تولستوى الى هدم نظام الزواج هدمًا يتناول الاساس

مِنْ طَرَائِفِ الشِّعْرِ

الريـع الباكر

للاستاذ محمود الخفيف

قاذى الشوق الى واد سريـع أسفرت فيه بواكير الربيع
وانجلى آذار بسام الضحى كابتسام الزهر فى زهو وديع
ألبس الزهر أكاليل الندى ودعا الطير فلبى منشدا
وترى الاغصان مالت طربا واثنتى الجدول تها وبدا
ضاحك الصفحة مطلول الاديم

يجتلى للعين منصور البطاح باسم الضفة عن وشى الصباح
سالت الالوان فى قيعانه وارتدت آكامه أبهى وشاح
وسرت فى جوه ريج الصبا تنشر المكنون من سر الربا
تملا الكون حديثا عطرا كحديث النفس فى زهر الصبي
أو كصافى الشعر يرويه النديم

يتبدى الكون موفور الرواء رفرف خُضر ووشى ونماء
وصفاء شاع فى أركانه عرف القلب به معنى الصفاء
وفضاء تنعم النفس به يذهل المعجب عن اعجابه
يقف الشاعر فى أحضانه موقف الصوفى فى محرابه
غارق الاحلام فى فيض التعميم

فطن القلب الى معنى الحياه فى مجاليه واشراق ضحاه
ثم فى بعث كسائه حسنه أينما دُرت بمينيك تراه
ومراح جال فيه طالما علق القلب به مستسلما
غرقت عيناي فى لجته فكأن فى أروى حلما
عن ربا الخلد ومرآما الوسيم

هذه الزهرة فى نضرتها تحسر الألفاظ فى وجنتها
خلص الحسن لها فابتسمت بسمة الحساء فى خلوتها

تعشق الكون وتهوى نوره أو لم توح اليه سحرة ؟
فتجلى حسنه فى حسنها وحبته من شذاها نثره
فلربما تمنحه عنها نيم

منظر الطير على أفنانها يملأ السمع صدى ألحانها
نسيت نفسى به أتراحها وتمشى البرء فى وجدانها
وخربير الماء فى ظل الشجر كغناء العود فى ليل السمر
نفحات كأحاديث الهوى أو أغاني الصيف فى ضوء القمر
تدرا السقم عن القلب السقيم

يا فرأشأرف فى جنب الغدير دائم الوئب على العشب النضير
هجت أشواقى الى عهدهضى أين منى عيشه الحلو الغرير ؟
حينما كنت صديا لاهيا لن ترائى ذات يوم وانيا
عن طلاب اللهو فى ظل الخيل أعشق الريف ضحوا كاحاليا
مشرق الضحوة خفاق النسيم

ياربعما أشرقت ألوانه وتعالى فى الضحى ألحانه
يا زمانا راقت الدنيا به وسرى فى جوها ريحانه
ايه يا عهد الصبا المقتبل أنت رمز الحب، روح الامل
رقل الدهربه فى نعمة وتعالى الكون بعد العطل
بتثير من حلاه ونظيم

شاعر يتلو الورى آياته ميسنزل الالهام من ساحاته
عبرى دق فى تصويره وسمى بالشعر عن غاياته
شعره يا حسنه فى فيضه فى سماء الكون أو فى أرضه
قد وعاه القلب ألحانا على سرحة فينانة فى روضه
ملكته فهى منه فى الصميم

هى دنيا من ربيع زاهر وضحي ضاف ونشر عاطر
ملأت قلبى وعينى بهجة سرف يبق وحيها فى خاطرى
سوف يبقى حسن هاتيك الرؤى حلما يذهب عن قلبى الآسى
كلسا مثله فى خاطرى نسي القلب به حر الجوى
فهو من ذكره فى ظل عيم

آذار

أغنية الربيع

« مهداة إلى سر شوقي »

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

هَلَمْنِي انظُرِي قِبَلَاتِ الرِّيعِ عَلَى مِعْطَفِ السَّهْلِ وَالرَّايَةِ
سَرَّتْ فِي السَّمَوَاتِ أَنْفَاسُهُ فَمَطَرَتِ الْحَقْلَ وَالشَّاقِيَةَ
وَأَذَارُ يَلْعَبُ فَوْقَ الْمَرْجِ كَمَا تَلْعَبُ الطُّفْلَةُ اللَّاهِيَةَ
يُعَانِقُهَا وَهُوَ جَمُّ الْحَبِينِ قَتْرُهُ بِالْمَقْلَةِ الرَّايَةِ
وَيَلْقِي عَلَيْهَا وَشَاحَ الْخُلُودِ وَالْوَاهِتَةِ الْعَذْبَةَ السَّايَةَ
وَيَبْعَثُ فِيهَا شُعَاعَ الْهُوَى قَهْرًا مِنْ وَهْجِهِ صَائِيَةَ
تَأَلَّقَتِ الْأَرْضُ مِنْ وَشْيِهِ فَلَمْ تَبْقَ زَاوِيَةٌ خَالِيَةَ
وَقَدْ زَيْنَ الْغَابُ أَفْيَاهُ بِأَحْلَى مَطَارِفِهِ الْكَاسِيَةَ
خَمَائِلَهُ مِنْ نَسِيجِ النِّعَمِ تَأَرَّجُ بِالنَّفْحَةِ الذَّاكِيَةَ
يَجْوَاهُ مِنَ الطَّنْبَرِ طَفَافَةٌ تُنْغَمُ رَائِحَةً غَادِيَةَ
كَأَنَّ النَّسِيمَ أَخُو سَكْرَةٍ تَعَابَا مِنَ الْخَرَّةِ الْعَائِيَةَ
تَعَاشَيْبُ نَاهِلَةٌ بِالطُّيُوبِ مَفْضُضَةٌ الثُّوبِ وَالْحَاشِيَةَ
كَأَنَّ عَلَى الْأَرْضِ عُرْسًا يُقَامُ قَتْمَشِي إِلَيْهِ الدُّنَا حَائِيَةَ
تَعَالَتْ إِلَى اللَّهِ أَفْرَاحُهُ تَجْمَأُ حَافِلَةٌ حَائِيَةَ
وَهَبَّتْ مَوَاكِبُهُ الصَّاحِكَاتُ تَجِدُّ أَعْيَادَهَا الْبَاهِيَةَ
رِيَا حَيْثُهَا قَدْ مَلَأْنَ الْفَضَاءَ وَلَمْ تَخْلُ مِنْ عِطْرِهَا نَاحِيَةَ
فِي الْجَوِّ ذَابَتْ أَغَاثِي الطُّيُورِ بِهَيْئَةِ النَّسْمَةِ السَّالِيَةِ
وَفِي الْحَقْلِ ثَارَ ضَجِيجُ الْقَطِيعِ حَيْنًا لِزِمَارَةِ الرَّاعِيَةِ
تَذُوبُ مِنَ الْحُبِّ أَنْفَامُهَا فَتَخْفُتُ مِنْ نَارِهِ الصَّالِيَةِ
بَرَأَهَا الْهُوَى وَطَوَتْ سَرَّهُ فَبَارِنَ مِنَ النِّعْمَةِ الْفَاشِيَةِ

فِيَا لَكَ عُرْسًا هَيَّ الْأَطَارِ جَدِيدَ الرُّؤْيَى وَالْمُنَى الْهَائِيَةَ
هَلَمْنِي افْتَحِي كُوَّةَ لِلرَّيْعِ لِنَشْرَبِ فَرَحَهُ ثَانِيَةَ
قَدْ مَلَأَتِ الرُّوحُ عَبْءَ الظَّلَامِ وَحَنَّتْ إِلَى الْبِسْمَةِ الصَّاحِيَةَ
أَكَاكَ سَجُوكَ غَيْرَ الرِّقَادِ وَتَغْلُغَلُ فِي الْمَقْلَةِ السَّاهِيَةَ
وَأَغْفَلَ بَيْنَ شُعَابِ الْجَفُونِ تَصَاوُرَ مِنْ مَهْجَةٍ بَاكِيَةَ
يَبِينُ عَلَى صَفْحَتِهَا الْإِنِينُ وَتَحْتَشُّعُ فِيهَا الرُّؤْيَى جَائِيَةَ
تَوْهَجُ مِنْ مَاسِهَا فِي الْعَيُونِ رَوَايَاتُ أَحْزَانِهَا الطَّاعِيَةَ
هَلِي أَقْرَنِي خَافِيَاتِ الْحُطُوطِ وَمَا تَضْمَرُ الْعَيْشَةُ الْبَاغِيَةَ
وَنُوحِي عَلَى حُلْمٍ مُورِقٍ تَبَدَّدَ فِي السَّكْرَةِ الْفَاشِيَةَ
سَيَمُضِي الشَّبَابُ كَمَا لَمْ يَكُنْ سِوَى ذِكْرَةٍ مُحَلُوفَةٍ سَاجِيَةَ
تُجَدِّدُ أَحْلَامَهُ الْغَابِرَاتِ وَتَرْجِعُ نَشْوَتَهُ الْمَاضِيَةَ
كَأَنَّ لَهُ مُلْعَبًا سَا-رَا تَنَاسَتُ أَيَّامَهُ الْخَالِيَةَ
تَمُوجُ بِأَفْيَاهِ النُّعْمَاتِ وَتَلْعَبُ فِيهِ الْمُنَى الْغَالِيَةَ
بَدَأَ وَالْحَيَاةُ عَلَى جَانِبِهِ تَتَبِعُ بِأَحْلَامِهَا الْغَارِيَةَ
حَقِيقَةُ آذَارٍ تَلْقَى عَلَيْهِ أَزَاهِيرُهَا الثَّرَّةُ الْغَائِيَةَ
تَعَالَى نُورُ قُنُودِ الْهُوَى وَنَسْرُ ذِكَايَاتِهَا الثَّانِيَةَ
وَنُوقِظُ لِيَالِيهَا الْغَالِيَاتِ وَلَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَكُنْ غَالِيَةَ
أَقَاصِيصُ مَلَأَتْ أَرْبَابَ الْوَهَادِ تَتَأَثَّرْنَ مِنْ أَكْثَرِ شَاكِيَةَ
أَرْجَنَ وَعَطَّرْنَ هَذَا الْفَضَاءَ كَمَا تَأَرَّجُ الزَّهْرَةُ النَّامِيَةَ
وَلَقَدْ مَنَّ مَعَانِي الْحَيَاةِ وَأَدْرَكَ مِنْ دَائِهِ مَا هِيَةَ
رُويْدَكَ وَلِنَسْمِعْ سَرَّهُ فَانْ لَهْ السُّأَ حَاكِيَةَ
وَأِنْ لَهْ سِيرًا جَمَّةً تَنَاقَلُهَا الْإِنْفُسُ الصَّاعِيَةَ
تَعَالَى إِلَى الصَّدْرِ تَلْقَى بِهِ شِكَايَاتُ أَضْلَالِهِ الْخَائِيَةَ
وَأَوْجَاعُ خَاقِهِ الْمُسْتَهَامِ وَإِرْنَانُ أَفْيَاهِ الْوَاهِيَةَ
فَلَا الْبُكَ يُهْدِي تَحْنَانَهُ فَيَرْتَاحُ مِنْ شَجْوِهِ ثَانِيَةَ
وَلَا الْحُبُّ يُبْرِئُهُ بَعْضَ الْمُنَى فَيَفْرَحُ بِالْمِنْحَةِ الرَّاضِيَةَ
وَيَسْتَدْمُو الْإِغَارِيَةَ ضَحَاكَةً فَتَحْيَا بِهَا الْمَهْجُ الدَّامِيَةَ

ولما اقتسمنا دموعَ العيونِ تفردتُ بالدُّمعةِ القاسيةِ
فلا هي تسكنُ شِعْبَ الجفونِ فتخني ولا هي بالهاميةِ

أطلتِ رُبُوكِ نحو السماءِ وأطرقتِ راحةً خاشيةً
فهل تبثّين عن الغائبين ومن غاص في اللجة الطاميةِ
فرابتكِ ضفّةً هذى الحياةِ وخفتِ من الضفّةِ التاليةِ
فثُحتِ وصحتِ النجاةُ النجاةُ وأين النجاةُ من الهاويةِ
هناك لا النور ضافى الجناحِ ولا الطير صادحة شاديةِ
خلت من بهارج هذا الوجودِ وأحلامه الحلوة الزاهيةِ
سوى موجةٍ من نبات السماءِ تحومُ بأرجائها عاريةِ
يُشعُّ على جانبيها الخلودُ وما ضمّ من صور ساميةِ
كان عليها إطار النعيمِ وغبقتهُ اللذة الشاقيةِ
حائلكِ لا تسبّحي في الدموعِ ولا ترهبي الراحة الناجيةِ
فما إن بقي من إسار الردىِ إذا حمّ يوم النوى واقيةِ
وليس تردُّ عليكِ الدموعُ سوى حرقةٍ مرّةٍ واريةِ

وربّتِ أمسيةً برّقةً ترفُّ بها الذكّرُ القاصيةِ
جلستِ على حنّاتِ الغديرِ أشيعُ أمواهه الجاريةِ
أردّدتُ أشعاري الثّانياتِ وأستقبلُ الفكرَ الآتيةِ
وتشدّو والطيورُ أغاريدَها فالقطُّ من فيها القافيةِ
ودّدتُ من الغيب كلّ الودادِ لو أنّي لأشعارها راويةِ
ويروحى المساء إلى خاطري هراجس غامضةً خائيةِ
موشحةً بطيُوفِ العفّاءِ كأنّ بها جنةً باديةِ
فأصغى إلى هنيه المستطابِ وأسمعُ الحانةَ الخافيةِ
أعبُّ لداذاته الطافحاتِ وأكرّعُ مسكرته الصّافيةِ
وأنتى متاعبَ هذا الوجودِ وعيشته الوحشة الجافيةِ
وغيوبة مثل كهف السّورِ تضع بها الانفسُ الرائيةِ

توشحها مائجات الغيومِ وأطراف أجنحها الضافيةِ
رقيتُ أعاليها مُفرداً وروحي مبتاقة حاديةِ
وخلقتُ جسمي في الهامداتِ تطيف به الصورُ الفانيةِ
وأطلتُ من فرجات الضبابِ على عالم الرّمم الباليةِ
تجردتُ من صفة المالكينِ وُسنتُ بالصفة الباقيةِ
وقدغبتُ عنى كأن لم أكنِ سوى نفحة سمحة عاليةِ
وأنسيتُ أنّي ابنُ هذا الترابِ وضجعتهُ المُرّة الطاغيةِ
بكاء على أملٍ لامعٍ تطايرَ في الفينة الصّاحيةِ
وغاغل في عالم غامضٍ أمانيه ساخرة هاذيةِ

هلمى افتحى كوةً للضيّاءِ لنسى بها الكوة الدّاجيةِ
فليس لنا أملٌ في الرّبيعِ ونفحته العذبة السّاريةِ
وما العمرُ غيرُ ربيع الشبابِ ربيع الهوى والرؤى الوافيةِ
تجوسُ به الذكريات العذابُ ويعمرهُ الحبّ والعافيةِ
إذا طاح طاحت مسالى الوجودِ وغابت مفاتنه الحاليةِ
وصار إلى عالم موحشٍ كصحراء خالية خاويةِ

أسيتُ لعمرٍ تولى سنائه كإمباضة الشعلة اوانيةِ
فيالك من عمرٍ ضائعٍ كما تنثرُ الباقيةِ الدّاويةِ
هوى النجم من شرفات الحياةِ فأمت على إثره هاويةِ

... أفاتك أتى جمُ الجروحِ أعيشُ على يدك الآسيةِ
فوليتُ عنى وخلقنتى أحنُّ إلى الساعة القاضيةِ

... أموت وقيثارقى ما تزال تنوح على مهجتي الصّاديةِ
أنور العطار

بيير كورنى

Pierre Corneille

للدكتور حسن صادق

مبائر وعرفان وروايات

تحدث في هذا المقال عن عبقرية شملت في معاصرها الحرارة والنور ، عن شعلة وهاجة فيها جمال وانسجام ، وفي جوهرها مدى وسلام ، عن مدرسة عالية تعلم القلوب فيها سمو والشجاعة ، وتبث النفوس فيها للعفة والتبل والصفاء ، عن مدرسة علمت الفرنسيين نقاسة الارادة وطولة الواجب وجمال التضحية . وسنجعل موضوع المقالات التالية عن هؤلاء الكتاب الفرنسيين في القرن السابع عشر وهم : بيسكال ولا روشفو كيو ولا فونتين وموليير وراسين وبوسويه وفلون ولا بروير وسان سيمون ومدام دي سافيه

إذا ولد ابن ذلك ، دقت النواقيس وأطلقت المدافع إيذانا بمولده ، وفرض على الشعب أن يجهج إن كان شقيا ، أو يبعث الفرح في نفسه إن كان مجدودا سعيدا . وإذا ولد عبقرى ، جهل الناس أمره ولم يعرف حقيقته إلا الله الذى يسم جينه بطابع إلهي ويصين

آب الريع

آب الريع وهذه الآثارُ في كل واد فضاء ونضارُ
بشت لمقدمه الخنائل والربى وتمايلت في وشيا الأزهار
والياسمين نقيّةُ بساتنه ومن البنفسج نافع معطار
والورد فياض الحدود ونضارة ترنو اليه كواهب فتار
والطير تصدح في الغصون يديرها في كل دور بلبل هذار
آب الريع .. فهل يؤوب أجيّة

صدوا عن القلب الحزين وجاروا
لما تجنوا قلتُ صدّة ملاحه ولدى المتيم تطلب الأعذار
نحسين شوقى

مهمته العالية بين البشر . وبعد أن تكشف العبقرية عن نفسها ويسود مجدها ، يبحث الناس في ظروف مولدها وفي حوادث شبائها عن الامارات العظيمة التي تدل على مستقبلها . وكذلك ولد بيير كورنى في ٦ يونيو عام ١٦٠٦ بمدينة روان . ولم يسطع في ذلك اليوم نجم في السماء جديد أو يحدث على سطح الغبراء حادث خارق يملن الى الناس مجيء رجل عظيم

أحبه والدها حبا شديدا ، وربيها على التقوى والفضائل . ولم يجدوا فيه ما يدلها على أن اسمه سيكون يوما في شعبة المجد الفرنسي . ولما بلغ أشده أدخله أبوه مدرسة يديرها الجزويت فلقى فيها تربية قوية صلبة وتعلما متينا . ولم ينس قط لهذه المدرسة الأثر الجليل الذى خلفته في نفسه الغضة . ثم أراد له أهله أن يكون من رجال القانون فكان ، إرضاء لهم دون أن يشعر بميل إلى ما أساروه إليه

نال إجازة الحقوق في ١٨ يونيو عام ١٦٢٤ وترافع أمام القضاء ، ولكنهم نصب غير الفشل الممض لأنه كان خجولا يشعر في حضرة الناس باكتئاب باطن يغمر عليه الحيرة والاضطراب ، ويسلط على لسانه الحبسة والحصر . وفجأة حدثت مصادقة سعيدة أظهرت عبقرية هذا المدره الصغير . كان له صديق عزيز عليه يحب فتاة ، وقد طلب منه هذا الصديق ان يصحبه في زيارته لها فأجاب سؤله . ولما تكررت هذه الزيارة أدرك كورنى أن الفتاة أخذت ترنو إليه دون صديقه ، فكف عن زيارته لها لأنه بطبعه وفي كريم . هذا الحادث دفعه الى كتابة قصة مسرحية فكاهية سماها (ميليت) مستندا قواعد الفن من نفسه وذوقه ، ثم سافر إلى باريس . وفي جيبه فصول القصة الخمسة ، ولم يجرؤ على تقديمها لمثل « بيت بورجونى » المهرة الناهين ، وهو المسرح الوحيد الذى كان موجودا في ذلك العهد . فقدمها في تواضع إلى مثلين مغمورين ققراء ، كانوا يحاولون تكوين فرقهم لإنشاء مسرح صغير في شارع «بني بوربون » مثلت هذه القصة في عام ١٦٢٩ ودردت على المسرح الصغير رزقا كبيرا . ولكن الجمهور الذى اعتاد رؤية القصص التنبؤية المقتبسة أو المنقولة عن «لوب دى فيجا » الاسبانى وغيره والزائخة بالدسائس والمقد ، وجد قصة (ميليت) سهلة بسيطة طيبة ، ولم يرق مؤلفها شاعرا كبيرا

ثم وضع كورنى في عام ١٦٣٢ قصة فكاهية أخرى سماها (كليتاندر) وقال عنها بعد وضعها إن كل ما هو محتمل فيها الأسلوب ليس غير . بعد هذه القصة ينس من الحصول على نجاح يرضيه في الكوميديا

نوع التراجيدى : إحداهما (لدون جوان ديامانت) والأخرى (الجيلم دى كاسترو)

قرأ كورنى القصتين . وخلال غرابة التركيب وضعف الأسلوب استخلص حدثا دراميا ، ومواقف رائعة ، وأفكار أخلاقية : استخلص من التراب تبرأ تقيا ، فوضع أول قصصه الخالدة وهى (السيد) المشهورة ، أول درة فى تاج المسرح الفرنسى فى عام ١٦٣٦ .

وقد أثارت هذه القصة فى نفس ريشليه الغيرة والحسد ، ولكن كورنى تعزى بتصفيق الاعجاب الذى ناله من فرنسا كلها ، وبلغ من نجاح هذه القصة أن أصبح الناس يقولون : هذا جميل كالسيد . وانتشرت هذه الجملة حتى عدت من الأمثال العامة . وقد سخر (بوالو) الشاعر والناقد الفرنسى فى ذلك الوقت من حسد ريشليه فقال : « عينا ينور وزير على السيد » ، فكل باريس تنظر الى شيمين يعنى رودريج (شيمين بطل القصة ورودريج بطلها ، وكان بينهما حب شديد رائع) . ولكن يظن ريشليه غلة حسده أوعز إلى مجمع العلماء أن يسف القصة ، فأعلن مكرها أن موضوع القصة تافه ، وهذا مديح أثلت من فم المجمع خلسة ، لأن كورنى استطاع بعبقريته أن يجعل من الموضوع التافه قصة رائعة امتدحت اعجاب الناس فى عصره واستهوت نفوس الاجيال المتعاقبة .

وقال أ كثر خصوم كورنى لوما ان الجمال الذى يعجب به الناس فى القصة لا يد لكورنى فيه ، وانما هو (ايدو كاسترو) الاسبانى . وقد نال هذا القول من نفس كورنى أكثر مما نال منها رأى مجمع العلماء الذى دحضه وسجته نجاح القصة فى طول البلاد وعرضها . فبحث فى التاريخ القديم عن موضوع يخلق منه قصة هامة ، فعثر فى (تيت ليف) المؤرخ الرومانى المشهور على تاريخ الموقعة التى حدثت بين آل هوراس وآل كورياس . وأخرج من هذا الموضوع قصته العظيمة (هوراس) فى عام ١٦٤٠ . وفى السنة عينها أخرج قصة (سنا) أو رحمة أغسطوس التى نالت أكبر قسط من النجاح ، وفى عام ١٦٤٣ أخرج (بوليكت) و (بوميوس) و (الكذوب) وكلها قصص خالدة أبلغته قوة المجد والعظمة . وعقب قصة (السيد) منح الملك لويس الرابع عشر والد كورنى لقب الشرف ووثائق النبيل ، ثم دخل الشاعر مجمع العلماء فى عام ١٦٤٧ . استمر بعد هذه القصص التى ذكرناها التى بنت بحمد على أسس متينة ، يصنف القصص التمثيلية وأخرج كثيرا منها ، ولكنها لم تبلغ الدرجة العالية التى بلغت القصص السابقة وفى عام ١٦٥٢ أخرج

وشعر فى الوقت نفسه يقطعة البقرية التراجيدية فى نفسه ، فاستعار من (سنيكا) الحكيم الرومانى موضوع قصة سماها (مديه) وأخرجها فى عام ١٦٣٥ ، فأصاب بعض النجاح ولقت نظر ريشليه الوزير الفرنسى المعروف ، وكان هذا الوزير يتعشق المسرح والتأليف المسرحى وإليه تنسب قصص أربع غيت كلها فى تضاعيف النسيان . وقال إنه لم يكتب هذه القصص وإنما كان يتنصع خطتها ويشرف على كتابتها

وبهذه المناسبة نذكر أن مجد ريشليه الأدبى هو فى إنشاء مجمع العلماء (الأكادىمى فرانسيز) : فى عام ١٦٢٩ اتفق جماعة من الأدباء على أن يجتمعوا مرة فى الاسبوع عند أحدهم للبحث والمناقشة فى الموضوعات الأدبية . هذه النوادة المكونة بادية . ذى بدء من تسعة أشخاص ، كبرت سريعا إذ انضم إليها أعضاء الكردينال ريشليه . ثم اتصل خبرها بهذا الوزير فرأى فى الحال بمهارة رجل الدولة الفاتدة التى تجنى من إنشاء هيئة تضم رجال الادب ، يجيزها أمر ملكى وتكون تحت رعايته ، فيضع بذلك يده القوة على جميع العقول الكبيرة فى فرنسا كما كاد يضعها على النبلاء والعظماء . وقد تم له ما أراد وصدر الأمر الملكى فى عام ١٦٣٥

أنجه نظر ريشليه الى كورنى كما قلنا ، وراه جديرا بالعمل معه فى تصنيف قصصه المسرحية ، ففرض عليه رغبته فى الانضمام الى « جماعة المؤلفين » وكانت مكونة من أربعة أشخاص يكتبون باسم الوزير . قبل كورنى ذلك لأنه شعر بالحاجة الى عضد قوى يعبد له الطريق ، واندمج فى هذه العصبة الصغيرة ، ولكنه كان حريصا على الاحتفاظ بكنوز عبقرية لنفسه

وفى أحد الايام طلب اليه الوزير أن يضع الفصل الثالث لحدى قصصه وفقا للخطة التى رسمها له فلم يوافق كورنى على هذه الخطة ، ودهش الوزير من جرأته واسترد منه شرف العمل معه ، وقال عنه : « ليس فيه روح العمل برأى غيره » أى ليس فيه روح الخضوع والذلة

نالت هذه الصدمة من نفس كورنى مثالا كبيرا فعاد إلى روان ليجد بين أحضان أسرته متلبسا من ألم الفشل ، واعتزم العدول عن التأليف المسرحى وهجر الشعر . ثم قابلته ذات يوم مصادقة كاتب سر قديم للملك (مارى دى مديس) يسمى (شالون) نصحه له بأن يدرس بامعان شديد المسرح الاسبانى ، ولقت نظره إلى موضوع (السيد) وكان قد عولج فى أغان وطنية اسبانية وفى قصتين من

الغلبة في النهاية للقيس . ثم عين (توما كورنى) عضواً في مجمع العلماء بعد موت شقيقه ، فاهتبل راسين هذه الفرصة وأثنى أجمل الثناء على ذكرى منافسه العظيمة . وإن خطبته في ذلك المقام لم تكن لعبقريته الميت وكرم الحى . وسنذكر نبذة من هذه الخطبة القيمة عند الكلام عن حالة المسرح الفرنسى قبل كورنى

ملائمة ومراهبة ومزلهج

كان حساد هذا الشاعر العظيم كثيرين . فلذات لم يروا فيه غير الشاعر السبقى الذى خلق أروع القصص ، وجاهم بآيات في البلاغة ينات ، ووضعوه في مكانة أعلى من المكانة التى كان يشغلها أيام مجده . ومن الغريب أن مدينة روان لم تقم تمثالاً لأشهر أبنائها إلا في عام ١٨٣٤

وكان معاصروه من كبار الأدباء لا يستطيعون إنكار قوة ذمته وعذوبة شعره ومثانة قصصه . ومنهم لارويير وبوالو ومدام دى سفيه . وهذه كانت تصيح في كل مجلس قائلة : « ليحيى صديقنا القديم كورنى ! إن كتبه آثار أستاذ لا يجارى ولا ينل ! إنها الذوق السليم نفسه ! » . وكان هو نفسه يؤمن بعبقريته ويتحدث بها في عزه الرجولة وصراحة كريمة تفضل التواضع المصطنع الذى لا يخضع أحداً ولا يخفى ما وراءه من زهو خلق . وقد بقى وفيما خلقه المزيج من البساطة والكرم والخجل والشجاعة والوداعة والسمو ، حتى استوفى أنفاسه .

ونستطيع أن نقول إن كورنى قلب كبير ونفس جميلة . والدليل القوى على ذلك هو ما تركه لنا من الآثار الجليلة ، وكل العواطف الباسية التى يجدها القارئ . في قصصه ، مصدرها قلبه ونفسه ليس غير . كانت الآفاق في عصره هابطة ، والبطولة نادرة ؛ فلما جاء عمل على إيصال القليل من حرارة الشمس التى تحركت الى خلود معاصره ، فتنهت قلوبهم وهبت تخفق على توقيع ألقائه .

يقال دائماً إن الشاعر لا يصور إلا معاصره ، وإن كورنى استمد موضوعاته من العادات والأخلاق التى كانت تحت بصره . هذه قاعدة صحيحة بالنسبة للآخرين ، ولكنها لا تنطبق على كورنى لأنه كان يصور الناس كما يجب وكما يجب أن يكونوا ، أى كان يصورهم على طراز نفسه العالية .

ومن يقرأ كتب هذا الشاعر يجد أن الرغبة في جعل الإرادة تغلب على كل الصعاب والعقبات من عناصر البلاغة الخاصة بكورنى ،

للناس قصته (برتاريت) فلم تنجح .

اشتهر عليه هذا الفضل الأليم وهو الشاعر الكبير الملعوظ المنزلة فلزم الصمت سبع سنوات قضاه في روان مع زوجته (وكان قد تزوج في عام ١٦٤١) وأولاده الثلاثة . ثم شاعت المصادفة أن يزور (مولير) الشاعر ورفقه روان ويمثلون فيها بعض كوميدياته . ولما شاهد كورنى التمثيل امتعش في دخيلته الحنان إلى المسرح .

فعاد اليه في عام ١٦٥٩ أمام جيل جديد من النظارة بقصته (أوديب)

فقبلت مقابلة حسنة . ثم أخرج بعدها عدة قصص ولكنها فشلت كلها . ويقال إن سبب الضعف الذى ظهر في قصصه الأخيرة يرجع

إلى إفراطه في العمل وإجهاده القويحة والعجلة في التأليف ، لأنه كان

في حاجة شديدة إلى المال بعد ما استنفدت تربية أولاده كل مواده

المالية . ولكن الحقيقة أنه كرم ومالت قوة ذهنه إلى الاضمحلال

والركود . يدل على ذلك قوله : « شعري ذهب مع أستاذي » نعم

استطاع هذا الشعر أن يستريح بعد كثير من الآثار الخالدة التى

تقص على القرون غرام رودريج وبطولة هرراس ووحمة اغسطوس

واستشهاد بوليكت . وفي الوقت الذى بدأ فيه نجم كورنى بالافول ،

كان نجم راسين يعلو ويسطاع ويذهي الناس إعجاباً وطرباً . وفي

عام ١٦٧٠ عرضت هنرييت أخت زوج لويس الرابع عشر على

كورنى أن يضع تاريخ (برينيس) في قصة تمثيلية . وكان راسين

في الخفاء يعالج هذا الموضوع وهو تعلم ذلك . وأخرج الشاعر ان

القصة في وقت واحد فنجحت قصة راسين نجاحاً كبيراً وسقطت

قصة كورنى سقوطاً مروعاً . وفي عام ١٦٨٣ باع كورنى منزله في

روان إذ استبد به العسر . وكان لويس الرابع عشر قد قرر له معاشاً

سنوياً قدره ٢٠٠٠ دينار بعد وساطة الشاعر شابلان ذى الخطوة

لدى الملك . ودفع هذا المعاش بغير انتظام ثم ألغى . وقد شعر

(بوالو) بحالة كورنى تقابل الملك ورجا منه أن يدفع المعاش

للشاعر المسكين بانتظام قبل رجاءه . ومن حسن حظ أنه مات

في ليلة أول أكتوبر عام ١٦٨٤ بعد أن ذاق مرارة الفاقة في شيخوخته ،

والشقاء هو القديسة الضرورية للعبقرية .

وقد قام مجمع العلماء بنفقات دفنه ، وكان مديره إذ ذاك

القيس (بى لافو) ولا تنتهي مدة عمله إلا في آخر أكتوبر من

ذلك العام . وجزت العادة أن يؤمن مدير المجمع ، العضو الذى

يموت . وكان راسين هو الذى سيعين مكان القيس ولذلك حدثت

بينهما مشادة إذ كان كلاهما يريد أن يحظى بهذا الشرف . وتمت

في طريقها حتى تصل الى العنف والحدة ثم الى النتائج الأخيرة
أمر كورني في التراجيديا والدراما

كانت التراجيديا قبل كورني محاورات طويلة . وكان واضعوها
يصورون الوالد والوالدة ، الزوج في ظروف شخصية خاصة
محدودة . ولكن كورني صورهم بطريقة عامة أي صور المثل الأعلى
للوالد والوالدة والزوج

قال (سانت ييف) بحق « إن كورني هو الشاعر الجدير بأن
يعاصر الفيلسوف (ديكارت) . كان الفيلسوف يبرهن على وجوده
بالفكر فيقول : « إني أفكر ، إذن أنا كائن . وكان الشاعر يبرهن
بالفكر على الحساسية المحركة والحياة ، فكل شخص في قصصه يقول
إني أفكر ، إذن أنا شاعر حي »

وكل ما يعاب على كورني أنه لم يصور المرأة في قصصه تصويراً
طبيعياً . وذلك لأنه لم يحب قط ، ولم يسر غور القلب النسوي ، وكل
أبطاله النساء لآتمت الى الطبيعة الابصلة ضعيفة لأنه خلقهن من
إدراكه لا من تجربته وملاحظاته

كان كل همه أن ينتج الإعجاب بالفضائل . وقد بلغ غايته بعمل
الواجب يناضل الهوى ثم ينتصر عليه . أي أنه بلغ غايته بتصوير
البطولة أحسن تصوير . وهذه الغاية أرغته في بعض الأحيان على
أن يبالغ في قوى أشخاصه ويعلو بهم فوق الضعف الانساني ليحيلهم
الى أبطال

وقد أعجب (فولتير) في القرن الثامن عشر بكورني إعجاباً
شديداً ، حتى إنه تبنى بنت أخته وزودها بمهر ثم زوجها . ونشر
كتب كورني وشرحا ، وقال في المقدمة : « الشرح الوحيد لكتب
كورني يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات في أسفل كل صحيفة :
جميل . جليل . إلهامى ! »

وطبعي أن ينهض كورني بالمرح الفرنسي لأنه جاء في عصر
زاهر مهيأ لهذا النهوض . إن المسرح من أنفع وأنبى ما ابتكر
العقل الانساني لتهديب العادات وصقل الخلق . لا يمكن أن يصل
الى كاله الا عند ما تبلغ الجماعة نفسها قمة مدنيته . ولهذا يتكون الفن
الدرامي دائماً في بطنه بينما يظهر الشعر الحماسي والفناني في طفولة
الام بقوة أكثر مما يظهر بها في عصر نضجها . لأن شعراء الملاحم
والغناء يستطيعون أن يسلموا أنفسهم الى جرأة عبقريتهم ، وهذه

ويجد أن أبطاله سواء أكانوا يريدون قهر أنفسهم أم قهر غيرهم ،
يذلون جهدهم في إقامة الدليل الذي يبرر إرادتهم وعملهم . وهم
بشرحون حساسيتهم في شعر له نغمات الناي الساحرة ، ويعبرون
عن إرادتهم في لهجة خطافية . ولذلك يذلم الحوار الطويل والمنطق
السليم الذي يؤثرت إرادتهم الخائفة ، والبرهانات القاطعة التي تنتصر
على ترددهم . وهم فوق ذلك وفي كثير من الأحيان يريدون أن
تقر ضخمايتهم أعمالهم وتوافق عليها . وكذلك نجد (رودريج) في
قصة السيد يريد أن يجعل صاحبه (شيمين) يؤمن بأن قتل أبيها
الكونت (دى جورماس) كان واجباً عليه . ونجد في قصة هوراس
أنه أراد أن يجعل (كورياس) يؤمن بأن من واجبه قتله . وكذلك
في (سنا) تحاول (رامبلي) صاحبة (سنا) أن تجعل الامبراطور
(أغسطس) يعتقد أن واجبها بتمديد مؤامرة لاغتياله .

فلنا إن كورني كان عياني في حضرة الناس ، ولكنه كان خطيباً باسناً
أبطاله وفي كل قصة نجد أن الحوادث هي نتائج قرارات الأبطال
ومشيتهم . فني هوراس وسنا مثلاً لا يحدث حدث إلا برغبة أبطال
القصة ، فالامبراطور أغسطس بعد أن عرف أن صديقه سنا يأتمر به
ليقتله كان في مقدوره إذا أراد ، أن يعاقبه بدلاً من الصفع عنه ، فالارادة
في مسرح كورني هي نابض الحركة الوحيد ، لأنه كان يعتقد أننا
في الحياة سادة حظوظنا . وهذا ما يجعل لهذا المسرح قيمة خلقية
فريدة ، وإن جعل الفعل الدرامي معلقاً على مشيئة الأبطال ، فهو
في الحقيقة تخفيض لنصيب الظروف أي تبرئتها مما تنهبا به .
وليس هذا حقيقة خالصة ، ولكن كورني أراد بذلك أن يرغب
الناس عن التواكل والاستسلام ويربي فيهم الاعتداد على الارادة
ولكن نحكم حكماً صحيحاً على كورني ، يجب أن نضع نصب
أعيننا دائماً أنه المؤسس الحقيقي للتراجيدي الفرنسية . كثير غيره
جاءوا بعده ، متزودين بدروسه ومنهجه ، فائله أو بذوه ، ولكنه
بقى استاذ هذا النوع . إنه هو الذي ابتكر استعظافاً جديداً
يقوم لاهل الفزع والشفقة ، ولكن على الإعجاب ، الإعجاب
بالمواقف ، والإعجاب بالخلق ، والإعجاب ببطولة الواجب
وروعة التضحية . وهو الذي جدد شكل التراجيدي الفرنسية
وجعلها « قضية أخلاقية توضع بواسطة العرض ، ثم تحصل المناقشة
فيها بواسطة انقلابات الحال ثم تحل في الختام » . وعبقريته هي التي
جعلت التراجيدي تحليلاً نفسياً لشهوة من الشهوات تدرج

عام وهم يعاجون التفكير ويتألفون الشعر والنثر دون أن ينجهوا
النجاح المرجو . وعبتاً نهوا مؤلفات الاقدمين ومسوخها ، وعبتاً
سرقوا من لوكريس وفرجيل وهوراس وسنيكا أو من الابطالين
والاسبان . وعبتاً اتحل كتاب النثر لأنفسهم من سيمرون
وبلو طارخوس . ثم جاء كورني وديكارت لحررا اللغة والفكر
الفرنسي من رقة الاغريق والرومان ، فهما أول من أعطى الادب
الفرنسي صبغته الخاصة وظابعه القومي . فالسيد و(رسالة في المنهج)
لديكارت يعينان عهداً جديداً في تاريخ الادب والفكر الفرنسي .
فقد كسرا أغلال اللغة وكانت أسيرة في أطلال اللاتينية ، وأنقذا
الفكر من محته وكان يريد ذلك ولا يستطيع . وبفضلهما
وجد في أوربا كلها بين كل الذين يقرأون ويكتبون أداة
عامة جديدة للتفاهم : هي لغة ديكارت وعلى الأخص لغة
كورني التي سادت من عام ١٦٤٨ تحرير معاهدات التحالف
والصلح ، وأصبحت آخر الأمر اللغة الوحيدة تقريبا للادب والفلسفة
والعلم . وكما يفخر الرومان بأن عصر أغسطس أنتج هوراس
وفرجيل ، كذلك يفخر الفرنسيون بأن عصر لويس الرابع عشر
أكبر ملك حكمهم ، أنتج أكبر شاعر لهم وهو كورني
ونحن هذا المقال بكلمة نابليون الأول : « القصة التمثيلية تشغل
النفس ، وتسمو بالقلب ، وتخلق دون ريب أبطالاً . وإن أجبر بأن
فرنسا تدين لكورني بحزة كبير من أعمالها المجيدة . إن القصص
التمثيلية مدرسة محالية لظلماء الرجال ، ومن واجب الملوك تشجيعها
ونشرها . ولو كان كورني حيا في زمني لجعلته أميراً »
وما قيمة اللقب الرسمي في جانب القلب الذي ناله من الشعب
وهو كورني العظيم ؟ ولماذا وهب الشعب هذا اللقب ؟ لأنه جاءهم
بقصته السيد ، وهي الحب في أجل أنوابه ، وبقصته سنا ، وهي السياسة
في أسمى أشكالها ، وبقصته بوليكت ، وهي الدين في أروع مظاهره ،
والحب والسياسة والدين هي « ثالوث » القلب الانساني .

حسن صادق

الجزء يسبقون القرون . أما شعراء الدراما ، ومهمتهم كما لم تهذب
الجاهلير وإشمال الخاصة في قوسهم ، فانهم مرغمون على أن يلائموا
عقريتهم مع عادات العصر الذي يعيشون فيه . ولذلك نرى أن
الجماعة التي لم تبلغ شأوا بعيدا في المدنية ، لا يشغل المسرح من أدبها
الا مكانا ثانويا . فإذا اقتربت من نفضها ، أخذ المسرح مكانه في
الصف الاول من مدرسة الادراك . وهذا ما حدث في فرنسا في
القرن السابع عشر ، وما حدث في بلاد الاغريق قبل أن يأتيهم
صفوكليس وأوريبيس وأريستوفان وإسخيولوس . فقد كان للفرنسيين
جودل وباف وهاردي قبل أن يكون لهم كورني وموليير وراسين
والى القارئ . نبذة من خطبة راسين التي استقبل بها (توما
كورني) لما صار عضوا في مجمع العلماء تلخص رأى هذا الشاعر في حالة
المسرح الفرنسي قبل كورني ورأيه في كورني نفسه : « أى اضطراب
وأى شذوذ كان يسود المسرح قبل كورني ! كان النوق مغفودا
ومعرفة الجمال المسرحي مجهولة . وكان الجهل المغيب يجمع بين المؤلفين
والنظاره . وكانت جل الموضوعات تحمل سمة الهوس ، وعارية من
الصدق . وكانت الألفاظ نفسها كثر قبحا من الحوادث . وخلاصة
القول ، إن قواعد الفن حتى قواعد الزاهة والآداب كانت فريسة
الفنك والعدوان ، في هذه الطفولة أو على الأرجح وسط هذا
العماء الذي كان يخيم على الشعر الدرامي في بلادنا ، جاء كورني .
وبعد أن جاهد وناضل النوق السقيم مزوداً بسلح العبقريه
ومعتزاً بقراءة القدماء ، أظهر على المسرح العقل تحف به أهله
اللغة وروعة البيان ، فطغى صوته على صوت منافسيه فأخفاه . ولما
يتسوامن بلوغ مكاته عمدوا الى تسفيه كتبه ، وحاولوا أن ينالوا
بالقذالطائش من جدارته ، ولكنهم فشلوا وحاق بهم مكرم السى .
السيد وسنا وهو راس ، ملائت الاسماع وهزت أوتار النفوس
وترجمت إلى عدة لغات ، وستظل حية على مر العصور في أفواه الناس ،
كورني فن وقوة وبراعة ، وخصوبة ونبيل وعظمة ،
هذا كلام راسين الذي كان ينافس سلفه ، وهو قول حق .
وعند ظهور كورني ، كان قد مضى على الناس ما يزيد على مائة

عامة	مكتبة الطالب	الحزب الشيوعي	انفسك
كتاب	كتاب	كتاب	كتاب

البؤساء

لفكتور هوجو

في سنة ١٨٦٢ .

أخرج فكتور هوجو روايته الخالدة البؤساء، وكانت قد لبثت مدى ثلاثين عاما يفكر في أن يكتب كتابا في صنف البؤس التي يعانيها الشعب ويستجمع له شوارد نظرياته الاخلاقية والسياسية فلم ينضج مشروعه الا بعد أعوام طويلة من التأمل والبحث ، وكان



مشروع كتابه الاول يتألف من أربعة أقسام بسيطة هي :

قصة قديس (وهو الراهب ميريل) وقصة رجل (وهو جان فالجان) وقصة امرأة (وهي فانتين) ثم قصة دمية (وهي كوزيت) ونظم فكتور هوجو هذه الأقسام الأربعة في سلك رواية طويلة متساقطة ساحرة الياز والمعنى ، تثير في كل موقف من مواقفها وكل صفحة من صفحاتها أسى المواطنين الإنسانية ، وتبعث فيه كوامن الاشفاق والرحمة . فاسم « البؤساء » وحده يستدر منا الاشفاق ، الاشفاق على جان فالجان الذي دفعه البؤس وحده الى سرقة رغيف من الخبز ، والذي نبض فيه قلب رجل خير كريم مخلص ، والاشفاق على فانتين تلك الفتاة المسكينة التي أغويت ثم نبذت والتي تنبذت حتى شعرها وأسنانها لطعم ابتها ، ولا تنبذ شرفها الا نزولا منها على حبها الاموى ، والاشفاق على تلك الصغيرة المسكينة التي تعاني على يد أسرة تارديه أمر ضروب الاضطهاد والذلة ، ثم الاشفاق والحب نحو البؤساء والمساكين الذين يملهم القس ميريل ، وصلابة الواجب الذي يفهم على غير وجهه في شخص الشرطي جافير

وهيكल القصة الاول بسيط مؤثر ، فهو تلخيص في مكث جان فالجان

بالمنى وفي تحريره ، وفي توبته وعيشته عيشة رجل خير يحب للانسانية في معمل الزجاج ، ثم موت العاملة فانتين ، ودخول ابنتها كوزيت في أسرة تارديه ، ثم قضية شان ماريو واتهام جان فالجان لنفسه وتسميه باسم مادلين ، ثم اعادته الى المنفى حيث يفر فبطارده الشرطي جافير ويلتجئ الى محلة « بتي بكيس » . وتسير القصة بعد ذلك في نسق رواية بوليسية يتخذ معظم أشخاصها اسما مستعارة وتكثر فيها المفاجآت الغريبة وتأخذ القارئ أخذا عنيفا بمواقفها الشائقة .

وقد عني فكتور هوجو بأن يلزم جانب الحقيقة دائما في قصته وأن يقدم فيها القارئ أشخاصا حقيقيين وأوصافا دقيقة ، وحوادث معقولة ، فاما القس ميريل فهو يمثل شخصية حقيقية عاشت وعرفها فكتور هوجو ودرسها منذ سنة ١٨٢٩ وهي شخصية المونسنيور ميوليس أسقف « ديني » . وكان المونسنيور ميوليس قد أوى ذات يوم مجرما بائسا يدعى بيرموران وحمله على التوبة وانهاج سيل الحبر . وقد وقعت معظم الحوادث التي يقصها فكتور هوجو حقيقة في اسقفية « ديني » سنة ١٨٠٦ ، وهي حوادث يلخصها الراحل انجيلان فيما يأتي : — في ذات يوم من أيام سنة ١٨٠٦ ، دخل بيرموران وهو مجرم أفرج عنه ، مدينة ديني نحو الساعة الخامسة مساء بعد أن قطع يومه سائرا ، وكان في السادسة والعشرين من عمره ، فلما رده جميع أصحاب الفنادق ، وأنهكه الجرع والتعب ، قصد بناء على نصيح سيدة عجوز ، باب الاسقفية وطرق الباب طرقا عنيفا ، فلبث الاسقف هادئا ، ونزلت خادمتها روز الى شاحبة مضطربة وهي تقول — رباه ! من ذا الذي يطرق بهذا العنف ؟ ودخل بيرموران ، ولم يكن في هيئته ما يطمئن ؛ ومع ذلك فقد كان يبدو عليه الوجع والحيرة وعذاب المسغبة ، وكان وجهه يتعارض مع كتفيه المريضين ووجهه القوي ، وكان جبينه ينضج عرقا ؛ فراح يحيا القس الوديع وغنم عبارات لانهم ، فهذا القس روعه وخاطبه بتلك البساطة التي تنهب الى أعماق النفس ؛ وقدم اليه المشاء وهيئت له غرفة للنوم ... ، وشعر بيرموران أنه قد تغير وغدا شخصا آخر ، فدخل عريضا بمستشفى متقل ؛ وكان قويا متين البنية مثل جان فالجان ، فكان يؤدي عمله كالابطال ، وحمل بين يديه ضابطا جريحا ، ثم عاد بعد ذلك الى منزل القس وأسبغت ابنة أخته وخادمتها روز الى ، ولكنه لم يجرؤ على طلب بدنها ، فاخفى وقتل في موقعة وارتلو



ماء جديد

للدكتور احمد زكي

من عنصرين : الأيدروجين والأكسجين ، بنسبة وزنية ثابتة .
نعم قد يتغير الماء لوناً وطعماً وكثافة ، فقد يمتلح وقد يتطبن
وقد يتغوز ، فالغازات تذوب في الماء كما تذوب الأملاح ،
ولكن إيت بالماء من الأرض أو من السماء ، على أى حال
نشاء ، ثم رشحه من أوساخه ، وقطره ليخلص من أملاحه ،
واتبع لنقاؤه أموراً أخرى عديدة تجدها في مفصّلات
الكيمياء ، ثم حله تجد نسبة الأيدروجين الذى فيه الى
الأكسجين ثابتة لا تتغير .

هذه بديهة من بدائنه الكيمياء ، فرغ منها العلماء من زمن ،
أوحسبوا انهم فرغوا منها . بديهة تشمك قراءتها لاشك ، كما
تشمئز أنا كتابتها ، لولا أن البدائنه كثيراً ما تتناها الشكوك
فتعكر عليها سيرها الهادىء في هذا الوجود المضطرب ، حتى
بدائنه العلم .

ان الايدروجين أخف الغازات المعروفة ، وذرتة أخف
الذرات . ومن أجل هذا اتخذ وزن ذرته وحدة تقاس
بها ذرات العناصر جميعا . ولكن هذه العناصر إن اتحد بعضها
بالايدروجين فأمكن إيجاد ذرته ، فإن الكثير منها لا يتحد به
وانما يتحد بالأكسجين ، فيمكن عندئذ احتساب وزن ذرته
منسوبة الى ذرة الأكسجين ، ولكن المراد نسبتها الى الايدروجين
حتى يكون أصل النسب واحداً ، فكان لابد من احتساب كم
من الايدروجين يتحد بكم من الأكسجين ، واحتساب ذلك
بدقة كبيرة لان هذه النسبة سيتوقف عليها ضبط نسب أخرى
عديدة .

اتجه الكيماويون الى احتساب هذه النسبة الخطيرة ، وهى
النسبة التى يتكون بها الماء الذى ذميريه وأشربه ، وفى كل عقد

الماء من أقدم أشياء هذا الوجود ، فهو لا شك سبق
الانسان وسبق الحيوان ، ولا شك سبق النبات ، أليس من
الماء كل شيء حتى ؟ هكذا قالت الكتب السماوية ، وعليها
أمنت الكتب الفلسفية فالعلمية . وقد أدرك خطر الماء الحكام
في العصور الخالية ، فعذوه رابع أربعة من جواهر حسبو
الكون بما فيه تكون منها ، ومنها لحسب ، بنسب تكبر
وتصغر فيتألف منها الجسم الذى ترى بخواصه التى تعرف .
وجرت على هذه العقيدة قرون تلتها قرون . حتى جاءت
الكيمياء الحديثة بعناصرها ومركباتها ، وجاءت بمخزئاتها
وذراتها ، فأفسدت على الحكام حكمتهم ، وطاحت بالأصول
الأربعة التى فرضوها على الوجود ، وأثبتت أن الماء مركب

ولم يقتصر فكثور هوجو على أن ينحرى الحقيقة بالذلة لابطال
روايته ، ولكنه ذهب الى تحريرها فى أوصافهم وإخلاقيهم وفى
الأوساط والبيئات التى عاشوا فيها مستندا فى ذلك الى وثائق دقيقة .
وتبدو عنايته الشديدة بالبحث والدرس حينما يقص حوادث موقعة
وترلو ، فقد زار مسرح الموقعة الشهيرة ودرس خططها
وأما كتبها وأوضاعها ، ورجع فى حوائثها الى تواريخ العصر
وسيره ووثائقه .

والحقيقة أن البؤساء ، أكثر من رواية وأعظم من قصة ؛
وقالبؤساء ، بموضوعها وأوصافها قصيدة رائعة للبؤساء ، ترتفع الى السمو ،
وتتشرب فيها العواطف البشرية ، ويمثل شديوها فى صورها ؛ هى تنبؤ
بليغ حتى ، هى نوع من الوعظ الدنيوى يضطرم بذرات رسول ؟

أكثر تركوا . وخالوا ان الذي يأتي به التحليل بالكهرباء يأتي به التقطير بالنار ، فقطروا الماء فحصلوا على نفس النتيجة . كم من ألوف حللوا الماء ، ركم من ألوف قطروه في الاجيال المنصرمة ، وفانهم جميعاً كنه ما يصنعون .

ومن الغريب أن هذا الماء الجديد سم . نعم سم برغم أن الماء أصل الحياة . وضعوا فيه فراخ الضفدع فانت في ساعة ، ووضعوا فيه سمكات في ساعتين ، ووضعوا فيه دوداً فانت في ثلاث . ولكن بالطبع كان هذا الماء الثقيل ، مركزاً تركيزاً كبيراً ، فقد كان تركيزه ٩٢ في المائة . ولما أضافوا اليه الماء الخفيف ، حتى بلغ تركيزه دون الثلاثين في المائة عاشت فيه كل هذه الاحياء . والماء الكشيف يوجد في ماء الشرب العادي بقدرجزء واحد في كل ٢٥ ألف جزء أو نحو ذلك . فهو لا أثر له في الانسان . بل على النقيض قد يكون فيه نفع له . أليس كثير من العقاقير كالزرنخ والاستركتين سماً زاعافاً . ومع هذا يعطى للمرضى بمقادير صغيرة فيكون فيه الشفاء من أدواء ؟ على أن أثر هذا الماء الجديد في الاحياء الراقية ومنها الانسان لم يمتحن بعد ، فالحصول على المقدار الكافي منه لا يزال عملاً عسيراً .

ويختلف الماء الثقيل ، في خواصه الطبيعية عن الماء العادي ، فهو لا يتجمد على درجة الصفر المتوية بل في نحو درجة ٤ ، وهو لا يغلي على المائة بل على نحو درجة ١٠١ . فاذا ذكرنا أن درجة الصفر ودرجة المائة ان هي الا درجات اصطلاحية ، نعرفها أنها درجة تجمد الماء ودرجة غليانه على التوالي ، حق لنا أن نقسم انقسامه خفيفة لما حاق بعلم الحرارة من اخلال بأساسات مقاساته ، وقد كان عنها الفيزيائيون ثابتة تزعزع الجبال وهي لا تزعزع . ونال الفيزيائي غير هذا اخلالاً جديداً في أساس أوزانه . فالجرام ماهو ؟ اليس هو وزن ستيومتر مكعب من الماء ؟ ولكن أي ماء ، ثقيله أم خفيفه ؟

البقية في الصفحة التالية

وفي كل عام يخرج الباحثون بنسب متقاربة كل التقارب ، الا أن بينها فروقا صغيرة لا تفتأ تظهر عند الحساب ا خطأ في الميزان يا صديق ، وفرق لا بد منه ما دامت يد الانسان العاجزة تقوم بهذه التقادير ، وأجهزته الناقصة هي كل حيلته في الوصول الى يقينه . حسنوا الاجهزة ، ودققوا في صنع الموازين ، واتخذوا كل حيلة انسانية لمنع الخطأ أن يتسرب ، ولكن هيئات أن تتفق الارقام الناتجة .

حتى كان يوم قريب قدروا فيه هذه النسبة من جديد ، فبين لهم من الأسباب ما حملهم على الاعتقاد أن الخطأ ليس في التقدير ، ولا في عجز الانسان ولا في قصص أجهزته ، ولكن في الفرض الاساسي الأول : ان ذرة الايدروجين ثابتة الوزن ، وان ذرة الاكسجين ثابتة الوزن

عرفت الكيمياء في السنوات الحديثة أن العنصر الواحد قد تتشكل ذرته أكثر من تشكل واحد . فالزئبق والكلور والبروم والكربون والزنون وكثير غيرها لكل منها شكلان فأكثر تتفارق في الوزن تفارقاً صغيراً وتتقارب في الخواص تقارباً كبيراً . واذاً فلم لا يتشكل الايدروجين أو الاكسجين أو كلاهما مثل هذا التشكل ؟ لم لا يكون للايدروجين ذرتان ، ذرة خفيفة وذرة ثقيلة ، واذاً لم لا يكون للماء جزئان ، جزئ خفيف وآخر ثقيل ، أعني لم لا يكون الماء مائتين ، ماء ثقيل يليق بالهلاقيم الغليظة للجنس الخشن من الرجال ، وماء خفيف يتفق والجنس اللطيف من الآلى يدميهن الحرير ويؤذهن النسيم

العلم يتخيل فيخال ، واذا بالخيال حقيقة . وتلك الحقيقة أثبتها الأستاذ لويس Lewis ، وذلك بأن أمر التيارات الكهربائية في الماء بحمله على ما هو معروف الى عنصره ، فأثبت أن الايدروجين الخفيف هو الذي يصعد من الماء أولاً ، وأنه عند ما يتحلل أكثر الماء تبقى منه بقية صغيرة هي الماء الثقيل الذي يحتوي الايدروجين الاثقل

أعيدت هذه التجربة بصورة أكبر فنتج عنها ماء ثقيل ،

القصص

فصل سابعة رابعة

بها ، واستمرت في حديثها :

... كنت بنت سبع سنين يوم دخل «رظا» افندي البلد . وإنى لأذكر ذلك بوضوح على رغم طفولتي وقدم العهد ... لأن بلدنا كان يومئذ معتزل العالم ، وكان مرور الجند في البلد . أو زيارة غريب أو سفر أحد الفلاحين الى دمشق . يعد حادثا تاريخيا يلجج به الفلاحون شهورا . ويتخذون منه مادة لاحاديثهم في أسفارهم ، وكان اليوم جمعة فلم يرع الناس وهم منصرفون من الصلاة إلا شجع شخص بلوح في الحرة (١) المحيطة بالبلد ، ثم يبدو واصحأ وأذا هو رجل طوال منحني يسلك يمينه عصا طويلة قد علق بها صرة كبيرة ، ويجر يسراه طفلة له ، وكانا يجدان غنا في تعلق هذه الصخور والفقر على هذه الاحجار السوداء . الحديدية الجوانب ، حتى أن الطفلة سقطت أكثر من مرة . فكان الرجل يقيها ، ويصب في أذنها كلمات حلوة معسولة ، ويشيرها الى البلد ، فتعاود المسير بحفاها أمل بارق ، في ظلام من اليأس تجمع الناس في رجة البلد ، ينظرون اليهما ، وتطوع فريق منهم للاخذ بأيديهما ومساعدتهما ، وأخذ رجل حماره ليركبهما ، وبعد آخر الى شيء من الحبز والجبن وقر الدين فآخذه اليهما زاعما انما قد حطهما الجوع ، وحملت امرأة حرة ما . مؤكدة أن ليس بهما جوع ولا تعب ، ولكن الضرب في هذه الحرة المحرقة ثلاث ساعات من الكسوة الى زاكية ، ثلاث ساعات في هذه الظهيرة اللاذعة قد قتلها عطشا

ولم تفسأ المخدمة أن تفلت هذه المناسبة دون أن تعظ اولادها وتصف لهم جلال الاخلاق الماضية وجمالها فقطعت قصتها وقالت : — أرايتم ؟ هكذا كان الناس : يساعدون الغريب ويرأسونه بنفوسهم ، لا كما تصنعون اتم اليوم — فقلت : ولكن الرجل ؟ هل أكل ما حملوا اليه من طعام ؟ — قالت : كلا ، كان مريضا فلم يأكل شيئا . أما البنت فقد كانت ساغبة لاغبة ، فأكلت وشربت ثم نامت مكانها من التعب .

(١) الحرة ارض ذات حجارة سوداء . بركاية وقرية زاكية الحورانية التي تحدث عنها في وسط حرة

المجنونة

للاستاذ علي الطنطاوي

قالت ربة المنزل ، وقد حفت بها اولادها واحفادها ، وجلسنا نحن على مقعدين نصوبهما لنا في صدر الغرفة : اصغوا الى فاني قاصة عليكم الليلة قصة واقعة . شاهدت حوادثها بعيني رأسي . ولا يزال اشخاصها احياء . يرزقون ، وليس كل ما يمتاز به انها واقعة ، ففي الواقع كثير من التوافه ، ولكنها تمتاز بأنها مؤثرة وان فيها عبرة .

كنت صغيرة . لا أكاد أدرك ...

— إذن فالقصة منذ ستين سنة على الأقل !

فرمت المرأة صديق بنظرة تأنيب على هذه الالهانة التي تلقاها

على أن هذه اختلالات لا تؤثر في حوائج العلم العادية ، ومطالب الحياة الجارية ، فعين الانسان قاصرة ، ترى الكون كتلا كبيرة ولو ظننتها جسيمات صغيرة ، ويده تحس الكون كذلك كتلا ، وأنه يشم الكون اجمالا لا تفصيلا ، وأذنه تسمع انغامه وتظن انها تستطيع ادراكها نغمة نغمة ، ولو ان كل نغمة منها أنغام تحتوي أنغاماً ، وهو مستمتع في كل هذا بقصور حواسه ، قانع برؤية الوجود غبشا وضبابا ، مادام لا يحس أنه غبش وضباب ، فلنفس ما كان من تحقيق العلماء وتدقيقهم ، ولتشر به زلالا سائغا خفيفه وثقيله ، وعلى الدنيا وعلى العلماء العفاء .

أحمد زكي

ساعتين او ثلاثا تنقز فيها كما يقفز الغزال الشارد ، كأن لها خفته وملاحته .

وكانت غريبة في طباعها وأخلاقها ، كما كانت غريبة في شكلها وصورتها ، فلما اكتملت انوثتها وتفتحت زهرة الحب في قلبها ، لم نجد لها قاطفا ، إذ لم يكن في الناس من يمرؤ على الزواج بفنائه لقيطه لانعرف اسرتها ولا يعلم نسبا ، فضلا عن انها تقرأ ، وانها قد قرأت كل ما كان مع أبيها من كتب وحفظت ما فيها من كبر وترهات

كانت الفتاة تعود الى البيت حينما تعود الشمس الى خدرها ، فعلا البيت طربا ومرحا ، فلما كان ذلك اليوم الذي قلب عليها حياتها ، لم تعد الا في ظلة الليل ، وكانت تهبط الصخر بمحذر تحمل شيئا ثقيلا حتى بلغت الدار فولجتها وقد انهكتها التعب ، ولكنها كانت هاشة باشة ككل فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، فوضعت حملها برفق على احدى الارائك ، وقالت لامها في سداجة :

— هاك زوجي اوجدته طريقا عند الصخرة الشرقية . وقد أغشى عليه من هذا الجرح ، ستعنين به أجمل عناية حتى اذا ماشى تزوج في .. أليس كذلك ؟

فهزت المرأة رأسها وقد حدثها قلبها وقلب المرأة (ترمومتر) الحياة — بكارته ، ولكنها لم تجد مجالا للقول فانصرفت الى العناية بالجريح . وكان ضابطا ألمانيا جيلا قد خرقت صخرة قذالة وشجته شجا عميقا . ودعت المرأة زوجها فشرع يعالجه بالبسم والحراقة وماليها من الطرق البدوية التي قلما تخطئ في مثل هذه الحالات . والفتاة متعلقة به تسأله عن مبلغ الأمل في شفائه ، ويترجوه ألا يدخر وسعا في معالجته ، لانها تود شفائه ليكون لها زوجا ، ولما تمت العملية ألقت المريضة على سريرها . والحت على الرجل وزوجه أن يساعدا خدمته لها . فعلا

جث أمام السرير كما يجثو العابد في صلاته . وراحت تأمل وجهه وعينه المغمضتين في دھول عميق ونشوة غريبة . وتجرؤ أحيانا على مس شعره الأشقر المتهدل على العصابة مساً رقيقاً ، كما لمس المرء شيئا يقدسه ويخشاه ثم تقبض يدها في سرعة ..

— نديدة انديدة !

— نعم يا بابا

— ألم تنامي بعد ؟ دعى المريض فانه لن يفيق من غيبوبته قبل الصباح

— نعم . سأنام

ولكنها لبثت نجائية أمام السرير

حملوا الرجل وابته الى دار الشيخ ، وكان المرض والضعف قد بلغا بالرجل . فارادوه على الطعام ليشتد أزرد فأبى . فعرضوا عليه الدواء الذي يتخذونه لئلا يعلته فرفض ايضا : — لا اريد . لا اريد شيئا . لا تفكروا لي . اني ميت . قد انتهيت ، ولكني موصيكم بهذه الطفلة فهي أمانة في اعناقكم . . . لقد غالب الموت حتى بلغت بها هذه القرية ، قد حملتها فوق ما يطيقه انسان ، لقد جابت معي البلاد كلها من القسطنطينية الى هنا ، من القسطنطينية الى زاكية في ست سنين لم نذق فيها ليلة هناء واحدة .

وأطبق عينيه وفه . وسكت ، وحاولوا ان يفهموا منه شيئا آخر فلم ينبس . واعتبرته حال غريبة لم أكن أعرف يومئذ ما هي ، ولكنني فهمت منها ، ومن صوت الرجل الذي خرج خافئا رهيبا كأنه خارج من قبر ، ومن وجهه الشاحب الخفيف ، وأنفاسه المتقطعة ولهجته الغريبة ، إنه ليس كمن أرى من رجال ، وإن له لسانا .. ولكنني لم أستطع البقاء أكثر مما بقيت فعدت الى الدار كيلا تضربني أمي

وفي الصباح سمعت أن الغريب قد مات — مات ليلة قدمه كأنما قد طوف في بلاد الله هذا الطواف لينام الى الابد على هذه الحجارة السوداء ، ويستمتع بحلم طويل إثر رحلة شاقة !

*

بقيت الطفلة وحيدة فكفلتها زوجة شتيوى ، وكان شتيوى من شيوخ البدو المقيمين في هذا البلد . وكان غنيا موسراً ، ولكن زوجه عاقر لم تأنه بولد طبيب صالح يعلله القرومية والرمي ، ويستخلفه في أهله وماله ، على الرغم من أنها راجعت الاطباء والمنجمين والمشايخ والمشعوذين في دمشق وفي قتلنا ، واصطنعت عشرات الادوية والتأائم فلم ينفعها ذلك كله فيلما . فيئست ... ولما كفلوا هذه الطفلة تلقفتها بسرور . واتخذتها ابنة لها ...

كانت الطفلة في التاسعة من عمرها يوم مات أبها . فلم تلبث في بيت شتيوى سنين حتى نمت واكتملت ، وغدت أجمل فتاة في البلد ، ولكنها كانت غريبة عن نساء البلدة فهي شقراء ، لها عيان زرقاوان ، وجسم متناسق جميل ، كأنما هي احدى الفتيات اليونانيات اللاتي عرفناهن في حي المهاجرين في دمشق

— بل كأنما هي ديان ، غادية الى الصيد !

— وكانت تجول كل يوم في هذه الصخور ، لا كما يجول نساء دمشق اذ يمشين متباطئات متكاسلات نصف ساعة في طريق المنشية ، أو في شارع بغداد ، ثم يعدن في عربة ، بل كما يجول الراعي النشيط

هذه الصلة بينهما من غير أن تخلف وراها قلباً دامياً . فلم يقد ذلك شيئاً ، وازداد حب الفتاة اضطراباً . فأزعم السفر مضطراً وأزف الوداع فتعلقت به وأبت أن تفارقه . وأعرضت عن كل نصيحة ، ولم تنفع فيها موعظة ولا زجر . فاقربت زوجة شتيوى من الضابط وهمت في أذنه كلاماً فعاد طلقاً مستشراً . فأمسك يدي الفتاة بخنوق وقال لها :

— سأعود لأزوجك . فدعيني أذهب لأعد عدة الزواج . سأعود ... فتركته الفتاة مصدقة ووقفت على الصخرة التي لقيته عندها تبكي وتشير إليه بمدبيلها حتى اختفى . فعدت إلى البيت تقول لأمها :

لقد وعدني أن سيعود . سيزوجني !

— نعم سيعود !

مر شران تصرم فيهما صبر الفتاة . فكانت تمضي نهارها حيايل خريطة قديمة كانت بين كنب أبيها تنظر فيها . وتحاول أن تعرف أين تقع ألمانيا من وجه الأرض ، وكم هي المسافة إليها . ولكنها لم تكن تعرف شيئاً عن البحار ولا عن الوسائط النقلية . فكانت تصوراتها لا تعدو أن تكون أحلاماً مبهمه . وكانت تبكي بكاء خافاً وهي مكبة على الخريطة ، وتستعيد في نفسها صورة الضابط وصوته وحركاته . ثم تعاود البكاء والنحيب ، أما هو فقد نسيها . ولم يذكر اسمها إلا مرة واحدة . في كتاب أخرجه عن الشرق .

وقطعت المرأة حديثها لأن الباب قد انفتح عن عجز منحنية على عصا طويلة تصرخ صراخاً مزعجاً . وتهذى بكلمات مبهمه . ووراءها سرب من الصبيان يقرعون بأيديهم الحجارة . ويصيحون مع ... مع ... مجنونة ! مع ... مع ... مجنونة !
فلما نجت منهم ، ألقت بنفسها على عتبة الباب ، وجلت تبكي بكاء أليماً ...

فهمست في أذن ربة الدار :

— من هذه المجنونة ؟

— إنما صاحبة القصة ياسيدي ! !

على الطنطاوى

دمشق

لبث الرجل وزوجه ينصحانها . يحاولان أن ينزعا غرس الحب من قلبها قبل أن يقوى ويشند ، فكانت تعرض عنهما وتعيد أبداً كلمتها الأولى : هذا هو زوجي
مر على هذه الامة عشرون يوماً لم تفارق فيها الامة الضابط ولم تعد تجول كما كانت تجول ولم تعد تفكر في شيء ... وكان الناس يتسائلون عن صلة هذا الاقربى الكافر بأسرة شتيوى ، فاذا قيل لهم : إنه مريض وإنهم يعالجونه . انصرفوا إلى أعمالهم ساخرين .

وصحبا الضابط وذكر كيف خرج يصيد فجرة الصيد إلى هذه القرية ، وكيف زلت قدمه فوق من ذروة الصخرة ، وأحس بالدم الحار يسيل على عنقه ، ثم لم يعد يذكر شيئاً ... إلا أنه فزع عينيه فوجدت على عيني فتاة جميلة ، حسبها في الوهلة الأولى ، عيني زوجته الفاتنتين الزرقاوين ، وأنه وجد نفسه على سرير نظيف محاطاً بالمنايا والعطف ، وأنه لبث ينظر إلى الفتاة في صمت وخشوع وشكر أن نظرات طويلة ، ثم مدبده إلى يدها الرخصة اللينة فاخذها إلى فمه ، ليخط عليها أول كلمة من القصيدة التي تضطرم بها قلبه ، قصيدة الشكر للجميل ، والشوق للجمال ، وأن الفتاة لازمت به بعد ذلك ملازمة الظل ، وحرصت على سروره وهنائه ، فكانت تحببه أطيب الاحاديث البدوية وألذها ، فكان يحبها بعناء ومشقة ، لضيق العرية عليه ، ويصجزه أن يأتي بالكلمة المناسبة فيأتي بها بالألمانية ففهمها الفتاة وهي لا تعرف من الألمانية كلمة ، كانما هي في قلبه ، أو كأنما هو - وذلك اصح - في قلبها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يتجاوز في رأيه صلة المجاملة والمتعة بالجمال

أما الفتاة المتفتحة للحب فقد كانت ترى في هذا كله علامة على الحب الصادق الذي كانت تتوق إليه وتحلم به . وقد ابغى لها الضابط شتى المعاذير في هذا الموقف حينما أخبره به الشيخ شتيوى ، وأعطاهما كل الحق في أن تحب . أما أن تصر على اتخاذه زوجاً لها وهو الرجل الألماني المتزوج ، وهو الموظف الذي لم يبق من أجازته غير أسبوعين . فأمر مضحك لم يستطع برغم احترامه لشتيوى وشكره إياه إلا أن يثقله بقهقهة طويلة مجلجلة .

— ما هي جريرتي إذا هي قد أحببتى ؟ انى لم أشجعها على هذا الحب . ولم أقطع لها أى وعد بالزواج . وما وقفت منها إلا موقف الرجل المهذب الشاكر . ففسرت ذلك بأنه الحب ولكنه تألم إذ يصل إلى الفتاة التي حملت إليه البرء . والحب الألم واليأس . وجرب الأعراض والاساءة الباعلة للنساء . وتقطع

٢ - شهر بالغردقة

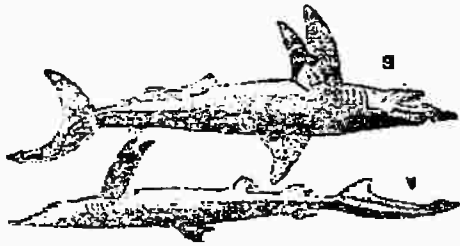
للاستاذ الدرمداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والجلات بر وزارة المعارف

بالبحر بالناية والتدقيق وطول الأناة التي يستلزمها البحث العلمي وكانت هذه العمليات المتشعبة وما تستلزمه من كتابة أسماء وتدوين مشاهدات ، وضبط أسماء الانواع وقيد الصفات ورسم الاشكال وحفظ العينات والنماذج ، تستغرق اليوم كله ، وأحيانا شطرا من الليل ، ومع تشابه هذا العمل وتكراره اليوم بعد اليوم فإنه لم يزد الدكتور إلا معاناه في البحث . وتوافر عليه من غير كل أو ملل . فيذهب الى معمله مع بزوغ الشمس ، ولا يفارقه الا اذا خيم الظلام . وكثيرا ما كان يعود اليه بعد العشاء ، مستضيئا بنور شمع أو مصباح ضئيل لا كمال بحث النهار : همة عالية تدلك على ان الشهرة العلمية لا تأتي الناس عفوا ، بل هي غالبا نتيجة الكد والمثابرة والتدقيق والاستقصاء .

(٣) أسماك البحر الأحمر

اشتهر البحر الأحمر منذ القديم بالغنى في انواع السمك وإجناسه ومقاديره ، فهناك في بطن الماء ثروة طائلة هائلة لمن يسعده الحظ فيكشف عن وسيلة للتغلب على شعب المرجان التي تحول حتى الآن دون استغلال هذا المورد الحصب استغلالا واسع النطاق



سمك القرش

أما عن الانواع والاجناس فتبارك الله مبدع الكائنات : سمك صغير رقيق بطول العقدة ، ووحش بحري هائل ، بطول أربعة أمتار ، وسمك عريض الفك جاحظ العينين مبطوط الرأس ، وآخر استطالقه حتى كأنه الحربة غارت عيانه وبرزت وجنتاه ، وسمك



السمك أبو حربة

ناصع البياض مع تناسب في الوجه ورشاقة في القد حتى كأنه شركسية من أهل الشمال ، وآخر أسود الجلد غليظ الوجه ضائع

مدير المحطة الدكتور سرسلانكا أسلفنا وهو عالم بيولوجي له خبرة حسنة بحياة المرجان وأجناسه وتطوراتها ، وهو في العقد السادس من عمره ، طويل القامة ، صحيح الجسم ، وسيم الوجه ، لطيف المشر ، اذا تكلم رفع صوته لتقل في سمعه ، وهو جهم النشاط تجده في العمل ، ثم تراه في المكتب ، ثم تلقاه في الطريق ، ثم تعثر عليه في الجراج ، ثم تبصره في البحر ، ثم تعلم أنه في مركز الشركة ينظم وسائل نقل الماء مثلا ، وهكذا فهو حركة دائمة تلقاه في كل مكان . ولعل من أحسن قضائل الرجل حبه الشديد للمحطة ورضاه التام عن حالة العزلة التي يعيش فيها

كان الجو طوال المدة التي مكثناها بالغردقة معتدلا ، فلم تعد درجة الحرارة في معظم الايام درجة الثلاثين على الترمومتر المتنوي مع جفاف شديد في الهواء قد أن تجده على شواطئ البحار ، ونسيم البحر دائم الانطلاق ، وأحيانا يشتد حتى لينقلب في بعض الليالي الى ريح عاصفة ، تثير الامواج وتهز البيوت وتقلق المشايخ وماء البحر بالقرب من الشاطئ دافئ لا يجده فيه الكثيرون من القوا الاستحمام في الشواطئ المصرية الشمالية متعة البحر ولذته ، كما أن السباحة فيه أحيانا غير مأمونة العاقبة لوجود سمك القرش بكثرة في هذه الجهات

كان الباحث للرحلة عمل مباحث واسعة النطاق على الطفيليات التي تعيش في أسماك البحر الأحمر ، وقد استحضر معه الدكتور عبد الخالق بك جميع ما يلزم لهذا البحث من أجهزة علمية ومواد كيميائية ، ملائمت صدرتين كبيرتين من الخشب ، وعقب وصولنا وضع الدكتور الخطط الكفيلة بتحقيق الغاية على الوجه الذي أراد ، فكان صيادو المحطة يخرجون كل يوم للصيد في قواربهم الصغيرة (المووري) ويعودون بها عند بزوغ الشمس موقرة بأنواع السمك المختلفة بين صغير وكبير ، وعند وصولها يستقبلها الدكتور ومساعدوه ويشرعون في الحال في ترتيبها إما في ثلج يثقل بطونها وتدهص محتوياتها

ويخاف الصيادون ، ومنه نوع مهاجم الانسان ويحاول اختطافه ، وربما ينهر منه ساقا أو ذراعا — ومن الغريب أن — مكة صغيرة بطول القدم تعيش طفيلية عليه فيحملها على رأسه لاصقة بجذله تغذى من فضلات طعامه وهو بذلك راض مسرور



نمام العامل : سمك القرش وقد جلس خلفه صيادو له

(٤) في مقول المراه

يفخر الدكتور كرسلا ند بحديقته المرجانية ويشيد بكراها وبشوقك لزيارتها فكنت أصغى لوصفه الشعرى وأنا بين الشك واليقين إلى أن رأيت حديقته بل بساينه بعيني فقلت في نفسي تالله لقد قصر الرجل ، فحديقته اجمل وابعد عما وصف :

ركبنا دلتش ، المحطة صباح أحد الايام فخرج بنا الى عرض البحر على مسافة أربعة كيلومترات ، ثم وقف بنا أمام جزر متتابعة متلاصقة بينها فجوات كأنها بحيرات ، ويغطي سطح الجزر ماء البحر على عمق قليل ، فنزلنا من الدلتش واخذنا نخطو فوقها ونحن غائصون في الماء الى ما فوق الركب ، وبعد سير شاق فوق العشب لم يتجاوز بضع دقائق وصلنا الى شاطئ ، غاطس تنكسر فوق حوافه امواج البحر بشكل بهيج يسر الخاطر ، وبعد خطوات اخرى اشرقنا على جرف مواج للامواج يفوح في الماء بانحدار ، ولم تكدر تقع عورتنا على سطح المنحدر حتى أرسلنا صيحات الدهش والتعجب : منظر ملك عليا للشاعر ، فقاع البحر قد كسبه لمسافة كبيرة خمائل كثيفة ذات ألوان زاهية جميلة بين حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء — را ، وقد امتدت على الجوانب وفوق المرتفعات وبين الصدوع على اشكال متباينة متألقة تخالها خمائل الازهار في بستان الامير وقت الربيع

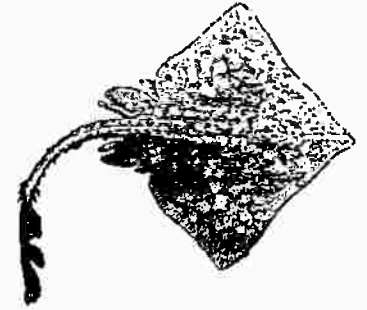
الدمرداش محمد

(يتبع)

الشكل حتى كأنه زنجية من خيط الاستواء ، وسمك مقوس الظهر مدكوك الرأس حتى كأنه القرم ، وسمك مشقوق القامة طويل الذيل مطوط الرأس حتى كأنه العملاق ، وسمك رفيع طويل كأنه الثعبان وآخر ممدود الرأس بمنح الزعانف كأنه الطير ، وسمك كالصندوق



في مياه البحر الأحمر :
ابو الكرايج (النجم)



سمك الراي

تشكلا وهيئة ، وسمك على شكل الفرس القافز ، وآخر على شكل قطعة من الصخر في اللون وعدم الانتظام ، وسمك احمر ذهبي وأصفر واخضر وازرق واسمر ، وسمك مخطط بخطوط سوداء وبيضاء أو سوداء وصفراء ، أو حمراء وزرقاء ، أو جمعت هذه الألوان بالطول أو بالعرض ، وسمك هادي وديع ، وآخر هائج عذيف ، وسمك سام يتسع بأبيرة مثبتة في جسمه أو على ظهره أو في طرف ذنبه كأنه العقرب ، وبعض هذه الأنواع مسلح بزوج من هذه الأبر أو واحدة على كل جانب ، وسمك يغطي جسمه زغب صغير سام من مادة صلبة كأنه الالك وهكذا ، وقد عدنا من هذه الاشكال مائة وخمسين نوعا وهو قليل من كثير يقض الابعاد والاعماق ، وهذه الأنواع اسماء دارجة يعرفها الصيادون ، وقلما يخطئون في التمييز بينها مع وجود تشابه كبير بين بعض هذه الأنواع . وهاك اسماء بعض الاسماك التي تعيش في منطقة الفردقة بالقرب من الشاطئ . نذكرها على سبيل المثال لا لغرابتها فحسب بل لدالاتها : الياجم والجانح والبشراكة والمعجينة وشك الزور والقضبة والدراك والبومة والسبيا

ومن العجيب أن أكثر هذه الأنواع تفقد ألوانها البراقة الجميلة بعد اخراجها من الماء بقليل وتصطبغ بلون أسمر قاتم — وسمك القرش أكبر حيوانات المنطقة وأشدّها بأسا ، وهو كبير الرأس عظيم الجسم واسع الفم حاد الاسنان تملع من رؤيته الاسماك

القديم

كتاب النثر الفني في القرن الرابع

تأليف الدكتور زكي مبارك

للاستاذ احمد امين

واكن الكتاب ليس موضع دفاع ولا مفاخرة ، واتمهذه موضع تقرير
لحقائيراعاواومرضاعلى القراء ، ثم هم قد يخالفونه فيما اوقد يوافقون ،
وتدقدرونه وتقديره اعليا وقد لا يقدرونها وعلى كل حال فلهم القول
الفصل لالتمثل ، فن من المؤلفين لم يعجب ما ألف ولم يرقه ما كتب ،
وانما كتب الخلود لما قدره الناس لا ما قدره المؤلف - شعر المؤلف
بذلك وأراد أن يعتذر عنه ، بأنها ثورة نفسية ، أنطق بها مارآه في
زمانه من غدر وعقوق ، ولكن هل هذا القول يداوى الجرح
ويبرىء المرض ؟ أخشى أن يحمل الناس على الالتجاء الى العقوق
والامعان في الغدر ، لأن النفس مولعة أبدا بكراهية الحديث عن
النفس ، ومن طبيعتها أن يحملها امعان المادح في مدح نفسه على
امعانها في التكرار له وجد فضلها ، بل أخشى أن يكون هذا بعينه
هو السبب في الغدر والعقوق ، فقد اعتادت النفوس أن تقابل
الافراط بالافراط والغلو بالغلو .

ان يكن المؤلف قد خانه التوفيق في المقدمة فقد صحبه الى درجة
كبيرة في الكتاب ، فهو نتيجة مجهود صادق وبحث طويل شاق ،
أتى فيه بمقدمة في الموازنة بين الشعر والنثر ، ثم تطور النثر من
عصر النبوة الى القرن الرابع ، وتكلم في نشأة النثر الفني ، والسجع وأطواره ،
وخصائص النثر في ذلك العصر وأنواعه ، ثم أشهر الكتاب في كل
نوع ونماذج من كتابتهم ، وتحليل لأنماطهم .

وطريقة بحثه في كل ما بحث سليمة ، جارية على الأسلوب الحديث في
العرض والتقدو واستقصاء ما في الوسع في الرجوع الى المصادر ومقارنة
بعضها ببعض ، والشجاعة في ابداء الرأي ، والقارى قد يخالفه في بعض
ما قال ويرى رأيا غير ما ذهب اليه ، ولكنه على كل حال يقدر ما
بذل المؤلف في تكوين رأيه وتأليف حججه . ثم هو قد وفق الى
آراء جديدة له فضل الجد في استكشافها وافت النظر اليها ، وآراء
صقلها وعرضها في حلة جديدة . وانى ان احترمت الكتاب من
الناحية العلمية والعقلية ، فأتى ناقده من جهة الذوق ، وذلك أن
الدكتور زكي مبارك كلما رأيته أو استحضرت صورته ، أشع على
معنى غريبا يصعب تصويره ، وربما كان أقرب تصوير له رجل

ان كان أخى « المازنى » قد استطاع بلباقته أن يكتب عن هذا
الكتاب مقدمة بلاموضوع ، فلاحارل في مقال هذا - للموازنة -
أن أكتب عنه موضوعا بلامقدمة ، وان هو وقف الكلام عند
محاولته ان يأخذ الكتاب من المجلد ، فلا أصل تاقطع وأكتب من
حين تسلمت الكتاب من المجلد

أول ما ياطالعك من الكتاب شكله وحجمه ، فيعجبك شكله ،
ويبهرك حجمه ، وما ظنك بكتاب طبع في دار الكتب على ورق
جميل في جزأين يقعان في نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ؟
ثم المقدمة ، وفي الحق أنها لم تعجبنى كثيرا ، فقد تحدث المؤلف
فيها عن نفسه طويلا ، فالكتاب اول كتاب من نوعه ، والكتاب
أول منارة أقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد الصحيح ،
والمؤلف أول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفني في اللغة
العربية وقهر المستشرقين ومن لف لفهم ، وهكذا يمضى المؤلف
في تعداد أولياته وهى طريقة لا أستحسنها ولا أستسيغها ، وأظن
ان كثيرا من القراء لا يستحسنونها كذلك ولا يستسيغونها ، فخير
للمؤلف ان يتوارى وراء ما كتب ، ويدع الناس يحكمونه أو عاياه
لا أن يتقدم هو بالحكم لنفسه ، ويقطع الطريق على القراء والنقاد ،
ويعجبنى في ذلك ما نقله المؤلف نفسه في ثانيا الكتاب عن أبى
هلال قال : ومن صفات الشعر التي يختص بها دون غيره أن الانسان
إذا أراد مدح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك أو عمل خطبة فيه جاء في
غاية الفصاحة ، وان عمل في ذلك أيانا من الشعر احتمل ، نعم ان المؤلف
لم يرتض هذا الرأي ، وأباح ذلك اذا جرى مجرى الدفاع والمفاخرة ،

واقضاه المقام ، ولكن لم يكن كذلك في هذا الموقف ، فقد تحدث مثلا عن المقامات ونشأتها فأفاض وأنفق عن سعة ، ولم يحدثنا كثيرا عن رسائل اخوان الصفا ونشأتها . قد يتبادر الى ذهنك أنه غنى بالمقامات لأنها ألصق بالأدب ، ولم يمن رسالة اخوان الصفا لأنها أدخلت في الفلسفة والعلم ، ولكنه في الكتاب تعرض للاستلزام العلوي كما تعرض للاستلزام الأدبي . على أن في رسائل اخوان الصفا نواحي أدبية عديدة أقر بها المؤلف فاقبس منها رسالة الانسان والحيوان ، وقد اعترض عن ذلك بأن الباحثين أطالوا فيها القول قديما وحديثا ، وهو عذر لا نوافقه عليه بحال ، فجمال القول في اخوان الصفا ذو سعة . والى الآن لم تبحث

الرسائل بحثا وافيا ، ولم يقل فيها ما يشي النفس ويثلج الصدر . وفيما عدا ذلك فالكتاب قيم ، يقف القارى على أشياء كانت دفينه ، وآراء نظمت كانت شنيئة ، وبلغت نظر الشباب الى جمال في الأدب العربي كان قد غفى عليه الزمان ، ويعبر عن ذلك كله بلغة العصر فقربه من نفوسهم ، ويحبه الى أذواقهم ، ويفتح أبوابا لبحث العلماء وتفكيرهم فله على ذلك الشكر .

المجمع المصرى للثقافة العلمية

المجمع المصرى جماعة من بعض خيرة أهل العلم غرضهم نشر الثقافة العلمية باللغة العربية في الشعب المصرى . وهو يجرى من أجل هذا أسبوعا في كل عام بالمحاضرات العامة يحضرها كل راغب بلا دعوة . وسيجرى أسبوع سته الخامسة بمحاضرة واحدة تلقى في الساعة السادسة ابتداء من يوم الجمعة ٦ أبريل بدار جمعية المحشرات الملكية بشارع الملكة نولى (عند تقاطعه بشارع فؤاد) تبعاً للبرنامج الآتى :-

المحاضرة الاولى : يوم الجمعة : وتبدأ بكلمة الرئيس السابق حضرة صاحب العزة أحمد محمد حسين بك ثم يعقبها خطبة الرئيس الحاضر حضرة صاحب العزة حسين سرى بك وكيل وزارة الاشغال وموضوعها في : الرى ،

المحاضرة الثانية : يوم السبت : للدكتور أحمد زكى استاذ الكيمياء ووكيل كلية العلوم في الاحجار الكريمة ،

المحاضرة الثالثة : يوم الاحد : للدكتور محمد سعيد نبيه في : دا. الكلب ،

ثم تعطى المحاضرات يوم الاثنين من أجل عيد شم النسيم وتستأنف بعد ذلك

يمسك يسراه كتابا قيا فيه علم غريب ، وأدب وفير ، ويده اليمنى عصا أشهرها ، ثم هو يطلع الناس على ما فى كتابه من طرف فنهم أن يفتح فاه بنقد أو مخالفة فتع بما فى يمينه ، بل قد يؤمن الناظر بما يعرض عليه ، فلا يعجبه الاستسلام وهذا الايمان فلا يزال يهرجه حتى يبدأ بالمخالفة أو يظن أنه سيداً بالمخالفة فيشهر عليه العصا ، بل قد يكون السالك على علم بذلك فيتنحى عن كتابه وعن عصاه ويتنحى ناحية أخرى فيسرع الدكتور ليسد عليه المسلك ويأبى أن يضح له الطريق حتى ينظر فى الكتاب ، فاذا نظر فالنتيجة محتمة ، واذا لم ينظر فالنتيجة هى هى أيضاً ، وهى العصا

هذا ما كان يشهه على الدكتور زكى ، فلما قرأت كتابه اثر الفنى تأكد هذا المعنى وتجم ، وما أدري أقرأت الكتاب بهذه العين التى تكونت ، أو قرأتها محايدا وقرائه زادت هذا المعنى وضوحا

تجلى هذا المعنى فى أنه يعرض آراء قيمة وافكارا غنى بدرسها ثم اذا به ينظر فيجتك بمؤلف أو كاتب فلا يتقدمه نقد عالم لعالم ولكن نقد مصارع لعالم . إن شئت فانظر اليه وهو يعرض لرأى الاستاذ مرسى . استاذ وشيخ المستشرقين فى فرنسا . اذ يقول « وهناك رأى منقل بأوزار الخطأ والضلال وهو رأى المسير مرسى ومن شايه » ثم تقرأ رأى الاستاذ مرسى ومن شايه ، فاذا هو رأى جدير بالاحترام باعث على التفكير ، صالح لحسن التقدير ، وهبه كان رأيا سخيفا وفكراناها ، وقولا لا يؤبه له ، فليست هذه لغة العلماء فى النقد ، ولا طريقةهم فى الرد .

نعم قد يكون تقدم فى بعض الأحيان لادعا ، ولكنه - على كل حال - يصاغ بلقاء ، وقد جرى المؤلف على هذا السنن مع الاستاذ مرسى وغيره بما لاشأن لنا بتفصيله ، وبما يزيد الأمر عجباً أنه شديد قاس فى بعض النقد - كما رأيت - ولطيف لبق فى البعض الآخر ، ولا ندرى من الناحية العلمية لم كان لطيفا لبقا هنا ، وقاسيا صارما هناك ، فقد قلبنا الأمر على وجوه فلم نجد ذلك يرجع الى قوة رأى المؤلف وضعفه ، ولا قوة الحجج وضعفها ، إلا أن يكون لثنى غير الرأى وغير العلم وهذا مالا أدريه .

كذلك أخذ عليه أشياء لم تتفق والذوق قرأتها فضربت أذنى واتجسس منها خاطرى . مثال ذلك ما جاء فى صفحة ٩ و ١٣ و ذيل ص ٦٠ و ٦١ و ذيل ٦٥ الخ

ثم هندسة الكتاب لم تتخل من نقد ولم يشع فيه التناسق ، فجرة صغيرة وحجرة كبيرة ، بل وحجرة لم تكن كان يجب ان تكون ، وباب كبير وباب صغير ، وقد يكون هذا معقولا اذا دعاه الحال

شهر زاد

رواية للاستاذ توفيق الحكيم
كلمة تحليلية بقلم : عبد الرحمن صدقي

هي تحفة فنية أخرى للاستاذ الحكيم . وهي أدق في ذوقها الفني وأرق ، وهي أرفف في الحس والطف ، وجسوها الشرقي أمتع منظرًا وأوقع سحرًا ، وروحها الصوفي أعرق تأصلاً وأعمق سراً . ونحن نعرف الأميرة شهر زاد ، تنمنا فيها عبقرية القصص وروح السمر ، وتنمناها بأحاديثها المشوقة المتنوعة الألفاظ ، وحكاياتها الممتعة التي لا ينضب لها معين ، بين يدي الملك الأسوي شهر يار وقد تحجر قلبه وغلظ طبعه ، تنتقل به ليلة بعد ليلة مأخوذاً مدهوشاً من قطر إلى قطر في أجواء شتى وآفاق سحيقة ، من أنحاء فارس ، إلى بلاد الصين أو الهند العجيبة ، إلى وادي مصر الخصيب ، بين أحناس البشر المختلفة الألوان ، وبين طبقات المجتمع ونماذج الأفراد على تفاوت الطبائع والدرجات ، من ملوك وعمايك ، وسراة وصعاليك ، وتجار ورحالين ، وصاغة وصيادين ، ومقاحيم يحبون القفار ويركبون أهوال البحار ، وفوق ذلك بين عناصر طبيعية وغير طبيعية ، أنسية وجنية . رحلة كقصيدة « الأوديسة » شاققة طويلة ، طافها الملك شهر يار وهو في المقصورة مضطجع يصنى إلى شهر زاد في كل مساء في ألف ليلة وليلة .

هذه الرحلة المعهودة للملك شهر يار ، لم يعرض لها مؤلفنا العصري . وإنما خلاص منها إلى رحلة باطنة للرجل شهر يار ، هي رحلة نفس تحركت فجازت أطواراً بعد أطوار

فلقد كان شهر يار عبد الجسد بيني كل ليلة بعذراء يستمتع بها وفي الصباح يقتلها ، وكذلك كان ليلة استقبال شهر زاد يشتهي منها المتعة بالجسد الغض . حتى أنها سمعها تحدثه حديثها الساحر الممتع وتفتح له خزائن القصص والخيال والشعر ، تفتحت مغاليق قلبه الموصد وتحرك جامده وارتجفت نياطه ، فإذا هو يحبها وإذا بهذا الجسداني الشهوان يحبها حب القلب والوجدان . غير أن نار العاطفة بدورها لم تلبث مشبوبة طويلاً حتى تصفت إلى نور هادي شاحب ، فإذا هو لا يأمن للشعور بل ينشد المعرفة ، وإذا به لا يريد لوقفة عند الظواهر والاعراض ، بل الغوص إلى الجوهر ولب

اللباب ، ولا يريد الاحتباس في الحدود الضيقة بل الانطلاق ، إلى حيث لا حدود ، فهو فكر محض يحلوه انأمل النظرى والتجريد الفلسفي . وهذه الأطوار النفسية الثلاثة التي انفتحت لشهر يار على آناه متفرقة ، يحلوها أيضاً المؤلف على مسرح قصته في آن واحد موزعة على شخصوس ثلاثة : فهذا العبد أسود اللون وضيق الأصل قبيح الصورة رمز للشهوة الحيوانية ، تلقاه شهر زاد في حلك الظلام ، وتلزمه ألا يطرقها إلا خفية مع الليل ، وتستكره معه العليل . وتحذره من أن يدركه الصباح فيقتل . وهذا الوزير الفتي ، مثال الجمال في الخلقة والخلق ، يحب شهر زاد كما يحب رجل جميل امرأة جميلة ، فهي معبودته لا عشيقته ، وقد بلغ التسامي بعواطفه منتهاه فلم يعد غير قلب شاعر . وهذا الملك وقد أذنت حكايات شهر زاد خبرة ، وكشفت لبصيرته عن أفق للتأمل بلا حد ، ونقلته كالطفل من طور اللعب بالأشياء أو العبد لها إلى طور التفكير فيها ، فهو اليوم فكر شارد أبداً يتقرب عن الكنه ويطلب المجهول :

أما شهر زاد فهي كالطبيعة لا رفيع عندها ولا وضع ، وهي كالطبيعة تترامى لهؤلاء الثلاثة فيرى كل فيها امرأة نفسه . فهي عند العبد حس مادي ولذة مشبعة ، وهي عند الوزير مثال أعلى للجمال قلباً وقالباً ، وهي عند الملك سر عميق ينطوى على نواميس خالدة تجري على مقتضاها حركات الحياة وسكناتها وتحدث لغزها المعرفة . ومن عجائب الاتفاق أن هذه المعاني التي انقضت القصة الرمزية اجتماعاً في شهر زاد ، لها سندها المدعم في الحكاية الأصلية : فشهر زاد إلى كونها مثل غيرها من بنات حواء تخضع لمطالب المرأة الجسدية . فأنها ابنة وزير ، كريمة المحدث ، كما يدل اسمها نفسه في الفارسية ، وقد شاء لها طيب أرومها أن تتقدم طواعية ليتزوج منها الملك الغشوم قاتل زوجاته ، وأن تجمل مختارة جيدها الغض عرضة لسيف جلاده ، مفادية بحياتها على ضعف الأمل انقاذاً للعداوى من هذا الحيف المراد لها . ثم هي لا محالة بطبيعة التربية في انصورت ذات ثقافة عالية ، وحذق لفنون الأدب والشعر ، وعلم بالتواريخ ومضارب الأمثال والعبر . فليس هنالك تجوز معنفس في تصويرها جامعة للجسد المنعم التضيير والقلب الفياض بالشعور والفكر الواعي المحكم بالتدبير .

ولقد احتاط المؤلف لرموزه هذه من أن تظهر مجرد رموز متحركة تشخص لما وضعت له في خطى آليّة وعزيمه صماء حديدية .

- العبد : ما أجل هذه العذراء ، أو ما أصلح جسدها ماوى ؟
- صوت (من خلفه) : ماوى ؟ أ للشيطان ؟ أم للسيف ؟
- العبد (يلتفت) : أهذا أنت ؟
- الجلاد (يظهر) : عرفتني .

ثم لا يطول بك الانتظار فى هذا الموقف بمسمع من هذه الكلمات المنتظغة المتبادلة حتى تدلم كل ماظراً على حياة شهربار الذى كنت تعرفه ، من تغير بعيد الأثر ، وما يحيط به اليوم من ملاسات وظروف ، وحتى تسلم بين أصابعك أطراف خيوط القصة جميعها ، وتتابع فى لذة مشوقة حركات نسجها سداة ولحة . وترى كيف يعارض حائك القصة بين شهر زاد وقلب الوزير المتأجج فى منظر ، وبين عقل الملك الساج فى زرة أحلامه الصافية فى منظر ، ثم بينها وبين العبد الأسود فى منظر . وهو فى خلال هذه المناظر وما بينها بدول بين هذه الخيوط المختلفة الأصباغ فيخرج لنا منها نسجاً خسروا فى الوشى ، ساحر الألوان كقفوس النعام ، حتى اذا أرف الحقام أبى المؤلف ، الحكيم ، على العبد قتلها ستر خاصا له وكرامة للنية أن تكفر عن خسته ، بل ادخر المصراع الفاجع للوزير الذى ضاق الواقع عن قلبه الكبير . أما شهربار فقد ذهب فى سفر بعيد مجهول

ولئن كان المؤلف قد نحنا نحو الرمزيين فى قصته ، إلا أنه لم يصنع منها لغزاً مغلقاً ولا شبه مغلق ، ولا هان عليه أن يترك رموزها على قرب منالها وقلة تعمويصها - للقراء وبخاصة الذين ألفوا نحوها فى التأليف الغريبة ليستنبطوها استنباطاً ، بل آثار أن ينص على تفسيرها نصاً فى ظاهر سطورها أثناء الحوار ، فلا يدع لأحد دون فهمها على وجهها حجة .

وقد اصطنع صاحبنا ما يصطنعه أهل مذهبه من أساليب العرض والكتابة . فشخصوه معروقة النظائر فى الواقع ، ولكنها تبدو لبياننا من مادة أشف من مادتنا ، وتروح وتجيء فى جو أخف مما نعيش فيه . فكأنما هى من عالم الاحلام نحسها بالحس الباطن ، وكأنها لا تتحرك بمحرك فيها من ارادتها بل تحركها قوة مستعيلة عليها خارجة عنها ، فهى مسوقة من حيث لا تدرى الى حيث لا تدرى ولا طاقة لها على التوقف والمغالبة . ثم هنالك السحر والكهانة ، والفلتات المنبئة ، وأحاسيس النفس السابقة المؤذنة بوقائع غامضة لاحقة . وهذه جميعها مفرغة فى سياق شعرى يتمشى

فأضنى عليها غايل الأحياء . من تردد وتشكك ، ونوبات ضعف وانتكاس ، لما هو مركب فى الطبيعة البشرية من العوامل المتضاربة ، والدواعى المتداخلة ، بحيث اذا صحت الغلبة لأحدها فإن المغلوبة لا تتعدم ، بل لها فى النفس بين الفينة والفينة تحبط المقيد ، واتفاض المضغوط عليه . فترى الوزير وإن كان فى حبه للملكة شهر زاد عذرياً ظهراً يحفظ لصديقه الملك غيبته ، ويرعى حرمة ، ويذكر مودته ، فانه ليضطرب أشد الاضطراب عند خلوتها به ، كما يسوقه أن تعطف على صديقه وزوجها أيسر العطف ويتجرع المرارة من غيرته الخفية . كذلك ترى شهربار وقد باشرت الحسيات حواسه حتى مل جوارها ، وتشتبت بالعواطف مشاعره حتى لفظها ومجها ، وتعالى عن كل ما هو حس وشعور ، يعود فى فترة يأس من المعرفة الى شهر زاد ، يسكر عطشه من كأس لغرها اللؤلؤى ، ويستظل من رصاصاته بعناقيد غداثرها المتبدلة ، ويرسد رأسه المتصدع حجرها ، ويربدها على أن تنشده شعراً ، أو تغنيه أغنية ، أو تقص عليه قصة .

وما تبدلت الرموز غيرها من أجل هذا ، وإنما هى عوارض من أمارات الضعف البشرى ، ثم تستأنف هذه الرموز البشرية سيرتها المرسومة ، ودورها المقدورة فى اقتان وروعة . ولقد اختار مؤلفنا للقصة بداية ليس أصلح منها مدخل الرواية من حيث تهيئة الجو والدلالة على المعنى . فتمت طريق قصر والليل حالك ، وإلى ناحية منزل منفرد على باب مصباح مضئ . وفى هذا الموقف يقفك المؤلف على سحر الساحر ، وضعف الجسد ، وسطوة الشهوة باللسات الاولى من ريشته :

- الساحر (يقود جارية الى المنزل) : ماذا يقول لك هذا الغريب الأسود ؟

- الجارية : يسألنى عن سر فرح المدينة ، فأجبه هو عيد تقيمه العذاري للملكة شهر زاد

- الساحر : وما لغرائصك ترتعد ؟

- الجارية (همسا) : لست أدرى !

- الساحر : ألم أحذرك أن تقرى هذا العبد المحرم ، فإن فى عينيه نظرات الذجرة ؟

- الجارية (همسا) : ليس هماً

- الساحر : بم تهمسين كمن به مس ؟ هاتى يدك ولندخل . لعلك ارتعت من قبح هذا الرجل ؟

- الجارية (همسا) : ليس قبيحاً .

(يدخلان المنزل . يظهر العبد يتبع نظراته الجارية . . .)

رسالة الريح

(بقية المنشور على صفحة ٥٢٤)

على المشرق اذا قبل النوروز جلسوا للناس جلوسا رسميا عامات يقبلون
فيها منهم به وهذا يوم . ولما قامت الدولة العباسية أصبح النوروز من
أعياد الدولة الرسمية ، وصار له شأن أى شأن ، بل لقد اشتقوا منه
عذار سميا خاصا بالخلفاء وأسموه « نيروز الخليفة » يقول البيروني
« انه كان يفعل فيه بغداد من رش الماء وحشو التراب والملاعب
ما هو مشهور » وهذا من قيل النوروز القبطي ، الذى يتحدث
عنه المقرئ في خطه ، ومن قيل ما يفعل في أعياد المرافع المشهورة
في بعض بلدان اوربا لعهدنا هذا والمعروفة « بالكرنفال »

وقد اثن شعراء العرب في وصف الريح والنوروز وأثروا في
ذلك بالبدع المطرب من الشعر . ولا يزال ما قاله الطائيان في هذا
السدد هو المقدم والمحدث سواء أكان ذلك من الناحية الفلسفية التي
يتبعها أبو تمام أم من الناحية الفنية التي يتبعها البحري
قال أبو تمام يصف الريح من قصيدة يمدح بها الخليفة
المعتصم بالله العباسي : -

أربعنا في تسع عشرة حجة حقا لهنك للريح الأزهر
ما كانت الأيام تلب بهجة لو أن حسن الروض كان يعمر
أو مائر الأشياء أن هي غيرت

سمحت وحسن الأرض حين تغير
يا صاحبي تقصيا نظريكا تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهرا شمس قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقرر
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الريح فأنما هي منظر
أصحت تصوغ بطونها الظهورها نورا تكاد له القلوب تتور
من كل زاهرة تفرق بالندى فكأنها عين البك تحدر
تدو ويحبها الجميم كأنها عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجدها فتين في حلل الريح تبخر
مصفرة بحرة فكأنها عصب تيمن في الوغى وتمخر
وقال البحري مخاطبا الوزير الفتح بن خاقان :

أتاك الريح الطلق مختال ضاحكا من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد تبه النوروز في ناس الدجى أوائل ورد كن بالامس نوما

فيه النغم ، وتنظم الموسيقى نسقه من مبدئه الى منتهاه ، ويعتمد على
الإشارة المقتضية والتليس ويتجنب البسط والتقرير ، وتكرر فيه
العارة الواحدة مرات وتكثر فيه الكلمة البارعة والكتابات المحجة
- شهر زاد : أتري شيئا في ماء هذا الخوض ؟ أليست عينا
أيضا في صفاء هذا الماء ؟ أنقرأ فيهما سرا من الاسرار ؟
- شهر يار : تبا للصفاء وكل شيء صاف ... ! لشد ما يخفى هذا
الماء الصافي ... ! ويل لمن يغرق في ماء صاف ... !

- شهر زاد : ويل لك يا شهر يار

- شهر يار : الصفاء ... الصفاء قناعها

- شهر زاد : قناع من ؟

- شهر يار : قناعها هي ، هي ، هي ...

- شهر زاد : إني أخشى عليك يا شهر يار

- شهر يار : قناعها منسوج من هذا الصفاء . السماء الصافية ،
الاعين الصافية ، الماء الصافي ، الهواء ، الفضاء ، كل ما هو صاف !
ما بعد الصفاء ؟؟ إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء !

فلنجل إذن لؤلؤنا المسرحي النجاح مرة أخرى مغنطين ، وليردد
قولنا فيه واثنين ، هذا الفتى فان حتى اطراف أنامله ،

عبد الرحمن صدقي

المصري الغريب في مصر

بقية المنشور على صفحة ٥٢٣

لقد هم أصحاب حافظ أن يخلدوا وذكر حافظ فلم يوفقوا . وهذا حافظ
يخلد ذكر نفسه . ولقد هم المسأثرون بشوق من رجال السياسة
الرسمية أن يخلدوا ذكر شوقي فلم يفلحوا . وسأ شوقي يخلد ذكر
نفسه . فهل بين المصريين من يهتمون بحماية آثار مختار من الضياع
وبتخليد ذكر مختار ، وهل هم ان فعلوا موقوفون الى ما يريدون ؟
أم هل تدخل السياسة في أمر مختار ففسده كما أفدت أمر حافظ
وشوقي ؟ سؤال مؤلم ، ما كان ينبغي أن يلقي ، ولكن انتظار جوابه لن
يكون طويلا ، ولعله لا يضيف ألما الى ألم ، وحزنا الى حزن .
طه حسين

اتحاد المثليين

لناقد « الرسالة » الفني

في مساء السبت الماضي ابتداء اتحاد المثليين ، عمله على مسرح
الهمبرا برواية « هرناني » لفكتور هيجو وترجمة الاستاذ خليل
مطران ، وهي من الروايات الانموذجية التي ترجمت تحت
اشراف وزارة المعارف .

وقد ذكرنا في كلمتنا عن « مديري الفرق والمثليين » ان اتحادا
قويا متينا تآلف من بين ممثلي الدرام في مصر ، من الأكفاء الذين
شهد لهم الناس بالمقدرة ، وتقدموا للجنة تشجيع التمثيل في وزارة
المعارف يعرضون عليها العمل تحت اشرافها وبالشروط التي
ترتضيها . وذلك بعد أن فشلت الجهود التي بذلت مع مديري الفرق ،
وبعد أن تعنت هؤلاء مع اللجنة وأرادوا أن يملوا عليها شروطهم
ذكرنا هذا وأهبطنا باللجنة أن تنتهز الفرصة السانحة قمت يدها
حازمة قوية لهذا الاتحاد وترحب به ولا تضن عليه بالمساعدة المادية
التي يستحقها . ويسرنا ان اللجنة كانت عند حسن ظننا بها ، وان
كلمتنا وجدت منها آذانا صاغية ، فقررت ان تمد يدها إلى هذا
الاتحاد في سخاء وكرم ، وأن تعينه على العمل في خطاه الاولى
فوضعت تحت تصرفه بضع مئات من الجنيهات بعد بها الوسائل
الضرورية لبدء العمل على بركة الله .

واتحاد المثليين اليوم لا ينقصه الرجال الأكفاء ولا المخرج
النابه ، ولا المال المعين ، ولا يعوزه تعصب الصحافة وتشجيع
الكتاب والنقاد ، وبالجملة توفرت له كل وسائل العمل التي تكفل
النجاح فالالاتحاد يحمل عبئا عظيما ومسؤولية خطيرة أمام هذا البلد
وإن الانظار لترعاه من كل مكان تترقب خطاه وتنظر ماذا هو صانع
بالامانة التي رضى بحملها وبالنفة التي وضعت فيه وبالامال العريضة
التي نيطة به فهو ولا ريب الأمل الأخير في انعاش المسرح في مصر
وانهاضه الى المستوى الجدير به . وانها لتجربة لما ما بعدها ، فان
فشلت فليس لنا الا ان تنفض الايدي جميعا عن المسرح وتتركه للقدر
يبعثه حين يشاء ، في جيل غير هذا الجيل ، وما تتحدث عنه بعد
اليوم ان نتحدثنا الا كما نتحدث عن عزيز نصي ، أو حلم تبدد

يفتحها برد الندى فكأنه ينث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الريح لباسه عليه كما نشرت وشيا منها
أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان ندى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يحجى بانفاس الاحبة نعا
وبعد : فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى
النفوس الشاعرة والفطر السليمة . فليت شعري أية رسالة يحملها الريح
الى ذوى القلوب الواعية منا ؟ قابل أيها القارىء بين الشتاء والربيع ،
بين رقدة الطبيعة ونهضتها ، وان شئت ، فين موتها ونشورها .
فستجد هذه الدورة على قصر أمدها قد تضمنت حكمة الحياة
كلها . والى هذه الحقيقة يشير الريح في رسالته الى الناس :

« إن الطبيعة أيها الناس هي الاول والآخر ، والاصل والمآل
من طياتها تبثون أبنائكم ، ومن جمال منظرها وروعة سحرها
نمت عواطفكم وألهمتم فنونكم وآدابكم . ومن تصرف ستمها
واختلاف مقاديرها يسرا وعسرا ، وأملا وأما وعافية وبأسا
ألهمتم عقائدكم وملككم . ومن دقة هذه السنن واطرادها استبتم
أصول شرائعكم ونظمكم ، ومن الصبر لأحكامها تكونت اخلاقكم
فان تكن أجسامكم قد منوت ، وعواطفكم قد خبت ، وعقائدكم
قد وهت ، وشرائعكم قد قست ، وأخلاقكم قد رثت ، فما ذلكم
إلا لانكم عاقتم أممكم الحيون ، وجفوتهم ظمكم الرموم . فالى الطبيعة
أيها الناس ، الى الطبيعة فليس وحدها الكفيلة بازاحة غلكم ،
وجبر مصابكم . وهي القادرة على أن تنشكم نشأة أخرى ،
وتبعثكم خلقا جديدا ،

كتاب المفصل

في تاريخ الأدب العربي

للسنين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية
أتمت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » طبع هذا الكتاب وهو
من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندري
واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف —
ويشمل تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي الى الآن
وقع في جزين مجلدين في نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء
الاول منهما عشرة قروش والثاني خمسة عشر قرشا ويطلب من
لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة



لو تحقق النجاح لهذه التجربة لارت القافلة على بركة الله الى غاية الطريق ، ولاستطعن أن نطالب الوزارة بالمزيد من المعونة . ثم لعلنا نتمنى الى امت النظر الى العناية بالفن عناية مجدية فتكون لنا الفرقة الرسمية ، ويكون لها مسرح خاص مزود بأحدث ممتلكات الاخراج المسرحي ، ويقوم فيه معهد الفن من جديد لتلقى أساليب ودرس وسائله ، وتهض بكل هذا ميزانية من آلاف الجنيهات كما هي الحال في سائر بلدانك الحية وتنشط حركة التأليف وتخرج الرواية المصرية الى النور ، وترفع عنا وعن المسرح هذا الخمول المني لعانيه .
يقى أن قول إن الاتحاد خطا خطوة طيبة بطلبه من الاستاذ ذكي طلبات أن يتولى اخراج رواياته وقد لبى الاستاذ طلبات هذه الدعوة بصدر رحب ونفس مطمئنة

إن المسؤولية الكبرى التي يحملها الاتحاد انما يحمل العبء الأكبر فيها فاننا التابه ، وهذه المادة التي بين يديه مادة ثمينة في يد الصانع الماهر ، ولا شك اننا سنسلس أترجوهده وانحما ، وستكون سعداء اذ تحدث الى قرائنا عن هذا الجديد الذي بننا نرقبه طويلا .

سينجح فنانا وسيكتب له الفوز ، وستحقق لنجاحه وفوزه قلوب ، بعضها من الفرح وبعضها من الحسد ، قلوب تفرح لانها ترى المسرح ينهض ويشد عوده بعد أن طال احتضاره وركوده ، وقلوب تأكل ألاما لان هذا النجاح يفوتها كثيرا من المآرب الشخصية والمنافع العاجلة او يقضى على ادعائات كانت تصك بها مسامعنا طوال هذه الاعوام .

محمد علي حماد

شركة أوديون

اذا كنت من عشاق الطرب وترغب في اقتناء احسن مجموعة من الاسطوانات لاشهر المطربين والمطربات باسعار لا تراحم فالفرصة لأن في متناول يدك فاغتنمها واطلب الكتالوج الخاص لهذه الاسطوانات من شركة اوديون بشارع طاهر امام البوستان العمومية فالشركة تصفى الآن ثلاثين الف سطوانة بسعر عشرة قروش